مكتبة دار السنة

عين الذهب

في حل ألفاظ منظومة آداب الطلب

تأليف الفقير

أحمد عبيدي حسب الله بن حسن بصري

بن محي الدين بن محمد إلياس الجاوي

تأليف الفقير أحمد عبيدي حسب الله

عين الذهب في حل ألفاظ منظومة آداب الطلب

هذا الكتاب شرح متواضع على منظومة ﴿آداب الطلب﴾ للؤلؤي وقيل للمأمون. والمنظومة مع عدم تعيّن صاحبها عظيمة الفائدة، ففيها حِكم جميلة ومواعظ جليلة، إذ الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها. والأدب من أفضل ما ابتدأ به الطالب، فبه تعامل مع الرب، وبه تعامل مع الأب، وبه تعامل مع الأصحاب، وبه تعامل مع الكتب، وبه تعامل مع ذوي العلم والألباب، فليكن الأدب أول ما يتعلمه الصغار حتى يرسخ في نفوسهم تعظيم العلم واحترامه.

ومن المعلوم أنه يجب على الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات تعليم الأبناء في الصغر ما يجب عليهم في الكبر وما يحرم. فلا خير بعالم لا يفقه في دينه شيئا، ولكنه، لا خير بفقيه لا يتأدب في فقهه شيئا. فالتفقه فرض كفاية، والتأدب فرض عين. فبالأدب وصل المرء إلى ما يرضي الله ونزلت عليه الرحمة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيْ رَسُوْلِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيْرًا﴾ وذلك لأن قدوتنا ﷺ على خلق عظيم، وبتركه تحبط الأعمال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ وتقع الفتنة والعذاب ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. فمن ثم، رأينا أن نوجّه التفات الناس لتدريس الطلاب صغارا كانوا أم كبارا بالعلوم السلوكية الأدبية من العلوم المعرفية، لترسخ في نفوسهم وتكون مفتاحا لطلب العلم في مستقبلهم.

فنرجو من الله أن يجعل هذا الكتاب الجامع لآداب الطلب أساسا راسخا في نفوس الطلاب، فبه يعملون وعليه يبنون علومهم. والله نسأل أن ينفع به كل من قرأه أو أقرأه وأن يقبله منا ويجعله خالصا لوجهه الكريم، آمين.

ISBN 978-623-7197-09-6

مكتبة دار السنة

follow us on Maktabah Darus-Sunnah
maktabah_darussunnah

وَلَا تَمُوْتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ كَاتِبُوْنَ

"Pantang mati sebelum berkarya."
[Prof. Dr. KH. Ali Mustafa Yaqub, MA.]

عين الذهب

في حل ألفاظ منظومة آداب الطلب

عين الذهب

في حل ألفاظ منظومة آداب الطلب

تأليف الفقير

أحمد عبيدي حسب اللّه بن حسن بصري
بن محي الدين بن محمد إلياس الجاوي

مكتبة دار السنة

عين الذهب

في حل ألفاظ منظومة آداب الطلب

تأليف الفقير:
أحمد عبيدي حسب الله بن حسن بصري
بن محي الدين بن محمد إلياس الجاوي

تصميم:
أولي النهى

الناشر:
مؤسسة أوقاف دار السنة
قسم مكتبة دار السنة
٢٠٢١م/١٤٤٢هـ

الطبعة الأولى:
شعبان ١٤٤٢هـ/ أبريل ٢٠٢١م

Judul:
Ayn al-Dzahab fi Halli Alfazh
Manzhumah Adab al-Thalab

Penulis:
Dr. Ahmad 'Ubaydi Hasbillah, MA.Hum.

Layout dan Cover:
Ulin Nuha

Diterbitkan oleh:
Yayasan Wakaf Darus-Sunnah; Unit Penerbitan Maktabah Darus-Sunnah
Jl. SD Inpres No. 11 Pisangan-Barat, Cirendeu, Ciputat Timur,
Tangerang Selatan, Banten, Kode Pos 15441
Telp. (021) 290 475 54, Email: maktabah.darussunnah@yahoo.co.id

90 halaman; 15 x 23 cm
ISBN 978-623-7197-09-8

Cetakan Pertama, April 2021

All rights reserved

فهرس

مقدمة الشارح ٩

الباب الأول: جامع بيان العلم وفضله ١٥

- أحوالٌ ينال بها العلم ١٥
- العلم عين الرزق وهو لا يعرف سن المرء ٢٠
- العلم قيمة المرء ٣٢
- محل العلم وآلته ٢٥
- موارد إحياء العلم وإيصاله إلى النفس والقلب ٢٩

الباب الثاني: أقسام الناس باعتبار علمهم ٣٣

- القسم الأول: حامل علم وليس بعالم ٣٣
- القسم الثاني: المتعلم وهو محبّ العلم وأهلِه ٣٥
- القسم الثالث: العالم الفقيه ٣٧

الباب الثالث: جامع أداب العلم ٤١

- مراحل العلم وقاعدته: الأدب قبل الطلب ٤١
- الأدب الأول: حسن السمت وقليل القول ٤٣
- الأدب الثاني: حسن السمت طول الحياة ٤٦
- الأدب الثالث: عدم السروع إلى جواب مسألة
  مع تقديم الآخر الأعلم ٤٨
- العجلة وهي الجواب قبل الفهم وما ترتب منها ٥٠
- الأدب الرابع: أن يقول لا أدري ويكون على علم بجهل النفس ٥٣

- الأدب الخامس: القول بالحكمة والاعتراف بعدم كمال العلم..... ٥٤
- الأدب السادس: التزين بالصمت وإن كان على علم
  وعدم القول إلا على علم متقن..... ٥٦
- الأدب السابع: التواضع والحذر من العجب
  ومن التقصير في الجواب..... ٥٨
- الأداب الثامن: اغتنام الصمت..... ٦٢
- الأدب التاسع: التعرف على حدود العلم ولا حد له..... ٦٤
- الأدب العاشر: التعرف على قدر المعلوم..... ٦٧
- الأدب الحادي عشر: التعرف على المجهولات
  فإن العلاّمة قد يخطئ..... ٦٨
- الأدب الثاني عشر: ترك الخجل من الاستفهام..... ٧١
- الأدب الثالث عشر: التعرف على قدر المعلوم والمجهول..... ٧٣
- الأدب الرابع عشر: التفريق بين الباطل والصواب قبل الجواب..... ٧٤
- الأدب الخامس عشر: التحقق من الكلام أوله وآخره
  قبل الجواب عنه..... ٧٥
- الأدب السادس عشر: آداب الإفتاء والاستفتاء والإرشاد
  والاسترشاد..... ٧٧
- الأدب السابع عشر: التعرف على أن العليم قد أعياه أمر..... ٨٠

الختام: الكلام فضة والصمت ذهب..... ٨٣

منظومة أداب الطلب..... ٨٨

مقدمة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشارح -وفقه الله تعالى لما يحبه ويرضاه- ناظما:

بِالْحَمْدِ للهِ الْعَلِي الرَّقِيْبِ	#	مُصَلِّيًا عَلَى النَّبِي الْأَدِيْبِ
فَنَسْتَعِيْنُ اللهَ فِيْ عَيْنِ الذَّهَبْ	#	وَهْوَ مُحَلِّلٌ لِآدَابِ الطَّلَبْ
فَقِّهْ بِذَا يَارَبَّنَا فِيْ دِيْنِنَا	#	وَعَلِّمِ التَّأْوِيْلَ مِنْكَ وَهْبِيَا
عَنِ الْمُحَدِّثْ وَهْوَ شَيْخُنَا عَلِيْ	#	إِجَازَةً مِنْ شَيْخِهِ الْكَمَالِيْ
لِلُّؤْلُؤِيِّ وَالْمَامُوْنِ نِسْبَةً	#	عِنْدَ ابْنِ عَبْدِ البَرِّ مِنْهُ وِجْدَةً

فقال ناثرا:

نبتدئ بـ بسم الله الرحمن الرحيم اقتداءً بالقرآن الكريم في ابتدائه به في الترتيب التوفيقي المصحفي لا النزولي، وتنفيذا لأول ما نزل من القرآن من الأمر: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1] وامتثالا لما جاء به سيدنا محمد ﷺ في حديثه الشريف ((كُلُّ كَلَامٍ لَا يُبْدَأُ فِي أَوَّلِهِ بِذِكْرِ اللهِ فَهُوَ أَبْتَرُ))[2]، ونبتدئ كذلك (**بِالْحَمْدِ للهِ**) عملا بقول من أدبه ربه بأحسن

١ سورة العلق: ١.

٢ أخرجه الإمام النسائي في سننه الكبرى، عن الزهري يرفعه، رقم: ١٠٢٥٨.

تأديب ﷺ ((كُلُّ أَمْرٍ ذِيْ بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيْهِ بِالْحَمْدِ أَقْطَعُ))[٣] وتبركا باسمه تعالى الأعظم وتأولا لقوله ﷺ: ((إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يُحْمَدَ))[٤]. **(الْعَلِيْ)** بتخفيف الياء ضرورة للشعر، وأصله العليُّ، اسم من أسمائه تعالى، سمى الله ووصف بها نفسه في كتابه الغزيز فقال في أخر آية الكرسي ﴿هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[٥] وقال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.[٦] نتوسل بهذا الاسم الأعظم على أن يُعلِي الله درجاتنا عنده بالعلم والتقى والأدب. **(الرَّقِيْبِ)** اسم من أسمائه تعالى الحسنى، فقال ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾،[٧] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾،[٨] وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾.[٩] والرقيب هو الذي يراقب ويطّلع على أحوال عباده ويحصي أعمالهم ولا يغيب عنه شيء. فليحفظ كل واحد منا هذا الاسم الأعظم ليكون على الوعي الدائم بمراقبة الله تعالى عليه فيتأدب بأحسن أدب عنده تعالى. ثم نكمل التبرك بعد ذلك. **(مُصَلِّيًا عَلَى النَّبِيْ)** أي نبتدئ أيضا بالصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد فنقول: اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، امتثالا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.[١٠] **(الْأَدِيْبِ)** المهذَّب الآخذ بمحاسن الأخلاق، وهو المؤدب المبعوث ليتمم مكارم الأخلاق، وكان خلقه القرآن، فأثنى عليه ربه

---

٣ أخرجه الإمام ابن ماجة في سننه عن أبي هريرة، رقم: ١٨٩٤. وأخرجه الإمام أبو داود في سننه عنه بلفظ: (كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم)، رقم: ٤٨٤٠.

٤ أخرجه الإمام الطبراني في الكبير عن الأسود بن سريع، الحديث رقم: ٨٢٥.

٥ سورة البقرة: ٢٥٥، وسورة الشورى: ٤.

٦ سورة الحج: ٦٢، وسورة لقمان: ٣٠.

٧ سورة المائدة: ١١٧.

٨ سورة النساء: ١.

٩ سورة الأحزاب: ٥٢.

١٠ سورة الأحزاب: ٥٦.

بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيْمٍ﴾، وهو أسوة حسنة للمتعلمين والمعلّمين المتأدبين الذين يرجون الله واليوم الآخر. صلوات الله وسلامه تعالى عليه.

(فَنَسْتَعِيْنُ اللهَ) والفاء للترتيب، والنون نون الجماعة أو العظمة، فالشارح إذ جمّع وعظم نفسه لادعائه شمول النعمة للمؤلف ولغيره بالانتفاع بهذا الكتاب. أي فبعد الحمد والصلاة نستعين الله **(فِيْ عَيْنِ الذَّهَبْ)** وهو اسم لهذا الكتاب **(وَهْوَ مُحَلِّلٌ)** من حل يحل فتضعّف العين فصار حلّل يحلّل تحليل فهو محلِّل أي هذا الكتاب محلل شارح مبيّن مفسِّر **(لِآدَابِ الطَّلَبْ)** أي لما حُرّر فيه من ألفاظ وجُمَلٍ أنشد بها الناظم رحمه الله، وهو اسم للمنظومة التى كنا في صدد تحليله. فأظهرتُ في التحليل تقطيعاتِها وتفعيلاتها العروضيتين، فحللتُ فيه ألفاظها وأبرزت فيه أسرار معانيها ومبانيها، وضبطت فيه أحرفها، وزودت فيه فوائد منقولة من جهابذة العلماء وتنبيهات. كما قد بذلت الطاقة والوسع في إيضاح مباحثها وتجلية المسائل المتعلقة بها.

(فَقِّهْ) أي علّم وفهّم وفطّن كلَّ من يدرس الأدب والعلم **(بِذَا)** أي بهذا الكتاب **(يَا رَبَّنَا)** نتوسل إليك بهذا العمل الصالح **(فِيْ دِيْنِنَا)** وهو يتكون من الإيمان والإسلام والإحسان والعلم وكذلك من الأوامر والنواهي والحكم والفضائل مما يبتغى به وجه الله تعالى على ما جاء به رسوله ﷺ **(وَعَلِّمِ التَّأْوِيْلَ)** وهو على ثلاثة معان أحدها مرادف للتفسير وهو كشف المعاني القريبة من اللفظ والظاهرة عليه والثاني كشف المعانى والمقاصد والفوائد والحكم السرية الباطنية المستنبطة منه بقرينة تقترن به، والثالث وقوع المخبر به. ففي فهم الدِين نحتاج إلى تلك الثلاثة كلها حتى نستوعبه. فبالأول نفهم معاني الدين من مظاهر مبانيه الجميلة. وبالثاني نفقه المقاصد والحكم من أسراره المكنونة الجليلة. وبالثالث نوجد بتوفيق الله تلك المعاني والحكم حتى تتحققا فعلا ظاهرا للعين،

فقد قال تعالى مخبرا عن رسوله يوسف عليه السلام ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾[١١] أنه رأى الرؤيا وهو في الصغر، فرأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رآهم له ساجدين، فلما تولى ملك مصر ودخلوا عليه وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا فقال هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ من الآن وقعت فعلا ظهرت للعين. فمن ثم، إذا قال ربنا تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾[١٢] مثلا، ثم أوجدْنا الاستعانة بالتثبت على الصبر وأداء الصلاة فعلا فهذا عندنا تأويلُ دين الله في باب الاستعانة، والله تعالى أعلم. **(مِنْكَ)** أي ارزقنا منك يا ربنا علما **(وَهْبِيَا)** فالعلم علمان: علمٌ بالقلم وهو العلم الكسبي فقال تعالى ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾[١٣]، وعلمٌ بالإلهام وهو العلم الوهبي اللدنّي فقال تعالى ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[١٤] وقال ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾.[١٥] فبهذا التحليل نتفقه في الدين بالقلم ونتعلم به التأويل إن شاء الله تعالى كما نرجو من الله أن يعلمنا بالإلهام ما لم نعلم. والله ولي التوفيق.

فعلى هذا، نكمل الاتبداء بما دعا به سيدنا المصطفى خير الأنام ﷺ لسيدنا عبد الله بن عباس ترجمان القرآن رضي الله عنهما ثم دعا به شيخنا الفاضل العارف بالله الكياهي علي مصطفى يعقوب رحمه الله، وذلك قوله رحمه الله ((اللَّهُمَّ فَقِّهْنَا فِي الدِّيْنِ وَعَلِّمْنَا التَّأْوِيْلَ)) سالكا نهجه في كل دروسه وخطبه، فنقول (اللهم فقهنا وفقه أهلنا وفقه أولادنا وفقه تلامذتنا وفقه من يدرس هذا الكتاب في الدين وعلمنا وإياهم التأويل) أما بعد.

---

١١ سورة يوسف: ١٠٠.
١٢ سورة البقرة: ٤٥.
١٣ سورة العلق: ٤.
١٤ سورة العلق: ٥.
١٥ سورة الكهف: ٦٥.

فيقول العبد الذليل الفقير الراجي لعفوِ ربه العفُوّ ورحمتِه وبركاتِه، أحمد عبيدي حسب الله بن حسن بصري بن محي الدين بن محمد إلياس الجومباني الإندونيسي وفقه الله تعالى لكل خير وغفر له ولوالديه ولمن انتسب إليه ولمشايخه ولمن له حق عليه وللمسلمين أجمعين، آمين،

(عَنِ الْمُحَدِّثْ) أي إننا إذ نشرح هذه المنظومة لا نريد إلا الاستفادة والاهتداء بهذه المنظومة التي تلقيناها من المحدث الإندونيسي المشتغل برواية الأحاديث ودرايتها وهو مؤسس معهد دار السنة الدولي لعلوم الحديث بجاكرتا **(وَهْوَ شَيْخُنَا عَلِيْ)** وهو البروفسور الدكتور الكياهي علي مصطفى يعقوب. وهذه المنظومة قد حفظها شيخنا على تلاميذه عند كل دروسه عملا بما ناوله شيخه **(إِجَازَةً)** أي مناولة مع الإجازة بقرائتها عند كل درس هكذا قال لنا شيخنا، وهو **(مِنْ شَيْخِهِ الْكَمَالِيْ)** واسمه الشيخ الكياهي إدريس كمالي الشربوني ثم التبوئرنجي ثم المكي.

(لِلُّؤْلُؤِيّ) أي تنسب المنظومة إلى الإمام اللؤلؤي، اسم مهمل لا يتعين، إذ اللؤلؤي نسبة إلى اللؤلؤ، فاشترك فيها رجال كثيرون. **(وَالْمَامُوْنِ)** يقرأ بدون تمديد الميم الأولى ولا بالهمز الساكن بعدها (وَالْمُمُوْنِ) ضرورة للشعر. وهو اسم مهمل أيضا، فيُظن أنه هو الخليفة من الخلفاء العباسيين، والله تعالى أعلم. فإنها نسبت إلى هذين الرجلين. وهي مع عدم تعين مؤلفها عظمت الفائدة، فالعلوم والحِكم قد تأتي من رجل مجهول لا تعرف عينه ولا حاله، **(نِسْبَةً)** أي إنها منسوبة إليهما نسبة دون إسناد **(عِنْدَ ابْنِ عَبْدِ الْبَرّ)** أي عند كتابه جامع بيان العلم وفضله **(مِنْهُ وِجْدَةً)** أي كما نجده منه وجادة في كتابه عند تحقيق هذه المنظومة التى حافظنا على قراءتها قبل كل درس.

ولمّا وفقنا الله على ذلك بداية من الساعة الثامنة تماما صباح يوم الخميس أول شهر الله محرم سنة ألف وأربعمائة واثنتين وأربعين من هجرة المصطفى ﷺ (١ محرم ١٤٤٢ هـ) الموافق بالعشرين خلون من شهر أغسطس سنة ألفين وعشرين ميلادية (٢٠ أغسطس ٢٠٢٠ م) إلى أن أتممنا ذلك بعد سبعة أشهر سميناه بـ «**عين الذهب في حل ألفاظ منظومة أداب الطلب**» مقتبسا من لفظ صاحب المنظومة في ختامها ومتفائلا به ليكون هذا العمل الصغير عينا من عيون الذهب وينبوعا من ينابيعه لمن يتحلى بآداب الطلب من الطلاب. واللهَ نسأل أن يخلص أعمالنا لوجهه الكريم وأن يرشدنا بهذا العمل المتواضع إلى ما هو أسنى مطالبنا وهو رضاه تعالى وأن يتقبل هذا العمل القليل وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وهو على ذلك قدير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلَّم تسليما كثيرا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبها الفقير الحقير الذليل

أحمد عبيدي حسب الله

بحاكرتا، ١٩ رجب ١٤٤٢ هـ

الباب الأول
جامع بيان العلم وفضله

أحوالٌ ينال بها العلم

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ بِالتَّعَلُّمِ ﴿١﴾ وَالْحِفْظِ وَالْإِتْقَانِ وَالتَّفَهُّمِ

التقطيع	وَغْ لَـمْ بِأَنْ	نَلْ عِلْ مَبِتْ	تَعَلْ لُمِيْ	وَلْ حِفْ ظِوَلْ	إِتْ قَا نِوَتْ	تَفَهْ هُـمِيْ
الترميز	٥ - - ٥ - ٥ -	٥ - - ٥ - ٥ -	٥ - - ٥ - -	٥ - - ٥ - ٥ -	٥ - - ٥ - ٥ -	٥ - - ٥ - -
اللفظ	وَغْلَمْبِأَنْ	نَلْعِلْمَبِتْ	تَعَلُّلْمِيْ	وَلْحِفْظِوَلْ	إِتْقَانِوَتْ	تَفَهُّهُمِيْ
التفعيل	مُسْتَفْعِلُنْ	مستفعلن	مرءتفعلن	مستفعلن	مستفعلن	مرءتفعلن
	مستفعلن	مستفعلن	مَفَاْعِلُنْ	مستفعلن	مستفعلن	مَفَاْعِلُنْ
الزحاف	[سالم]	[سالم]	[مخبون]	[سالم]	[سالم]	[مخبون]

قوله: **(واعلم)** أيها الطالب. الواو استئناف **(بأن العلم)** الذي هو إدراك الشيء بحقيقته، والذي هو من أفضل ضروريات البشر، وبه فُضِّل على سائر المخلوقين، وبه نجا من فتنة الدنيا والآخرة وعذابها، وبه تمت سعادته في الدارين، لا يُنال إلا بإحدى أربعة طرق هن: أولا **(بالتعلم)** أي المجاهدة في الحصول على العلم والتكلف عليه. فالتعلم مشتق من العلم. والعلم لغة ما يعلمه المرء. وأما التعلم فهو «تفعّل» من «علم – يعلم» بزيادة التاء في أوله مع تضعيف عين فعله، تفيد معنى التكلّف، فمن ثم أن العلم لا ينال إلا بالتكلف على العلم. ويجيء أيضا «تعلّم» بمعنى «استعلم»

وذلك فيما يختص بالطلب والاعتقاد وهو تصورك الشيء أنه على صنعة أصله. فيكون معنى «التعلم» طلب العلم، أو الاعتقاد على العلم حيث إذا قلتَ «تعلّمتُ الأمر» فمعناه أعتقد أن فيه علما فأتقنه حتى أعرف وأعلم، أو أعتقد في نفسي أني أعلمه. فما من علم إلا وهو على يقين متقن معتقد مفهوم. والجار والمجرور متعلق بمحذوف، في محل رفع، خبر أن. وجملة إن العلم بالتعلم مأخوذة مما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه معلقا حيث قال: وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ.»[١] وأخرجه ابن وهب[٢] والطبراني[٣] والبزار[٤] وابن أبي شيبة[٥] والبيهقي[٦] بألفاظ مختلفة، فلا يحصل العلم إلا بالتعلم. **(و)** ثانيا **(الحفظ)** أي اختزان المعلومات وتسجيلها في الذاكرة والقلب، وذلك

---

١ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه معلقا، وذلك في مقدكة باب العلم قبل القول والعمل

٢ فعن مكحول، أن رسول الله ﷺ قال: «العلم بالتعلم، والخير عادة، وإذا أراد الله به خيرا فقه في الدين»، رواه ابن واهب في الجامع، رقم: ٤٤٦.

٣ فعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ، ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ لَمْ يَسْكُنِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا، وَلَا أَقُولُ لَكُمُ الْجَنَّةَ: مَنْ تَكَهَّنَ، أَوِ اسْتَقْسَمَ، أَوْ رَدَّهُ مِنْ سَفَرٍ تَطَيُّرٌ» أخرجه الطبراني في الأوسط رقم: ٢٦٦٣، وأخرجه أيضا في الكبير رقم: ٩٢٩ فعن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ، وَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»

٤ فعن أبي الأحوص قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: «إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ ضَلَالَةٌ، فَعَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهَا مَأْدُبَةُ اللَّهِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ مَأْدُبَةِ اللَّهِ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ» أخرجه البزار في مسنده رقم ٢٠٥٥.

٥ فعن أبي الأحوص، قال: قال عبد الله: «إن الرجل لا يولد عالما، وإنما العلم بالتعلم»، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه رقم: ٢٦١٢٣.

٦ وأما لفظ البيهقي فعن أبي الدرداء، قال: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّى الشَّرَّ يُوقِهِ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَنَالُونَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى: مَنْ تَكَهَّنَ أَوِ اسْتَقْسَمَ، أَوْ رَجَعَ مِنْ سَفَرِهِ طِيَرَةً «. وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: « يَا أَهْلَ دِمَشْقَ اسْمَعُوا قَوْلَ أَخٍ لَكُمْ نَاصِحٍ، مَالِي أَرَاكُمْ تَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ وَتَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ، وَتُؤَمِّلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ، وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ جَمَعُوا كَثِيرًا، وَبَنَوْا شَدِيدًا، وَأَمَّلُوا طَوِيلًا، فَأَصْبَحَ جَمْعُهُمْ بُورًا، وَمَسَاكِنُهُمْ وَمَالُهُمْ غُرُورًا»، أخرجه في شعب الإيمان رقم: ١٠٢٥٤.

بإيداع ما يسمع في القلب لاسترجاعه في أي وقت كان. وصورة ذلك أنك إذا طلبت العلم وتم الحصول والاعتقاد عليه فاحفظه أي صُنْه من الضَّياع والتّلف. والحفظ يكون طريقا من طرق التعلم، إلا أنه يحتاج إلى الإتقان والتفهم، فإذا لم يتقن ولم يتفهم فلم يكن علما، بل قِشر العلم **(و)** ثالثا **(الإتقان)** أي الإحكام وهو أعلى درجات الحفظ والضبط، وهو مصدر «أتقن – يتقن»، وأنك إذا أتقنت التعلم والحفظ أديتهما على أكمل وجه. والإتقان من التَقْنِ وهو الطبع، ويطلق أيضا على الطِّين الرقيق يخالطه حَمَأٌ يخرج من البئر. فالرجل المتقن هو الحاذق الجيد التام الدقيق في علمه أو عمله. فالحافظ غير المتقن إذا امتحن شك وتردد، والمتقن وإن لم يحفظ لفظيا فإنه على يقين تام لا يزيله ولا يشكه ولا يردده أيّ مسالة ولا امتحان ولا بلية **(و)** رابعا **(التفهم)** وهو مثل التعلم في الوزن والفائدة، أي طلب الفهم والاعتقاد على أنه يُفهَم. فهذه الصيغة «تفعّل» تفيد معنى التكلف والتدرج، فالتفهم هو التكلّف على الفهم والمحاولة عليه والتقبّل شيئا فشيئا تدريجيا. ويعرف الفهم بالإدراك والإحاطة بالشيء. ومن ثم إذا قلتَ فهمتُ العلم أوالأمر أوالكلام أوالخبر أو نحو ذلك فمعناه أدركتُ ذلك أو علِمتُه أو أحسنتُ تصوّره أو استوعبْتُه. وذلك عيْنُ تحصيل العلم. وفّقك الله للعلم النافع المبارك.

فوائد:

١. ثلاث يختزن بها العلم واستودع هن: الصدر والسطر أوالكتاب والعمل. فالصدر أفضل خزائن العلم لكن إذا مات صاحب الصدر انتزع هذا المخزون فيه. وأما الكتاب فقد يعيبه بعضهم حيث قال بئس مستودع العلم الكتاب، لأن صاحب الكتاب يعلق علمه عليه، فإذا فقدَ أو اخترق الكتاب ضاع ما في الصدر والسطر من العلم. لكن مع ذلك أن الكتاب المنشور يُبقي العلم وإن كان صاحبه قد مات. وأما

العمل فلا يحفظ إلا المعاني والقيم المستمدة من العلم، فلا يحتفظ العمل مباني العلم ولا ألفاظه. فقد يبقى العمل مع المعاني لكن مبانيها مفقودة متناساة. فيظن العمل الباقي بدعة محدثة خالية عن العلم.

٢. واعلم أن الفهم أعلى دراجات العلم. وهو عين العلم وحقيقته. فما العلم إلا الفهم. وما لم يفهم من المعلومات والمحفوظات والمتقَنات لم يكن علما. فرب متقِن الحفظ غير فاهم لما أتقنه، فرأينا طلبة صغيرة حافظين على فنٍ من علوم النحو حفظا جيدا تاما ومتدربين على تحليل مسألة نحويّة قادرين على جواب أسئلة معروضة عليهم مع إتيان شواهدها النحوية بسرعة لكنهم لم يفهموا الفن بحقيقته، إذ لم يفهموا فهما. كما رأينا أيضا أطفالا يحفظون سورة الفاتحة والسور القصار والأدعية ويتقنونها جيدا لكنهم لم يفهموا ما فيها من المعاني والفوائد والحكم، فلم يكن ذالك بحقيقة العلم. نعم ذاك علم، وهو علم بقراءة سورة الفاتحة وغيرها ولكنه ليس علم الفاتحة، بل هو ليس بعلم التجويد إذا لم يُدرَس ولم يفهم معه قواعد التجويد. فالفهم يحتاج إلى الذكاء الجميل والصبر الكامل والحرص الوابل وإرشاد الأستاذ النبيل والزمان الطويل. وقد يتلقى الرجل في طفولته العلم وحَفِظه ثم أتقنَه لكن لم يفهمه إلا بعد أن تم عمره ثلاثين سنة، ذاك بعض ما رأيتُني. فصدق الناظم بقوله:

ألا لا تنال العلم إلا بستة # سأنبيك عن مجموعها ببيان

ذكاء وحرص واصطبار وبلغة # وإرشاد أستاذ وطول الزمان

٣. فمن ثم يتعين أن الحفظ للمباني والألفاظ وأن الفهم للمعاني. فكل ذلك تعلُّم وتكلف على العلم. فبالحفظ يعلم الطالب المباني، وبالفهم يعلم الطالب المعاني. فللعلم قوّتان هما الحفظ المتقن والفهم المتقن.

فمن اشتغل بواحدة منهما أضرّت الأخرى. فمن اشتغل بالحفظ دون أوانه تقديما وتأخيرا حصل له الحفظ الكثير لكن ثقل عليه الفهم. وكذا، من اشتغل بالفهم فقط دون مراعاة المباني والألفاظ حصل على الخيالات الكثيرة لكن ثقل عليه الذهن فلا يستطيع العمل بالعلم لكثرة خيالاته، وذلك لأنه كلما أراد العمل بالمعاني وجد معاني أخرى لا مبنى لها، فتحير. بخلاف ما إذا كانت المعاني محزونة في المباني فلم تسْرِ إلى غيرها.

٤. واعلم أن الاستعلام إما بالسماع وإما بالقراءة وإما بالكتابة، وإما بالمناولة وإما بالوجادة. فكل ذلك تعلُّم. فمن حصل على المعلوم منه فليحفظه حفظا بالصدر أو بالسطر أو بغيرهما مما يستودع به. ثم ليتقنْه إتقانا وليتفهمه فهما. فإذا تم ذلك صار علما راسخا.

٥. واعلم أنه من أراد أن يكون حافظا متقنا فاهما عليما فلينظر في فن واحد من العلم ومن أراد أن يكون عالما عارفا فليأخذ من كل علم بنصيب.[٧]

تنبيه:

إن العلم يحتاج إلى التكلف عليه، لكن المعلوم لم يكن علما بكماله فليحفظْ الطالبُ المعلومَ، لكن المحفوظ لم يكن علما بعينه، فليتقنْ الطالبُ المحفوظَ، ولكن المحفوظات المتقَنات لم تكن علما كذلك إلا بالفهم، فليتفهّم الطالب. فإذا علمتَ شيئا فافهمه، وإذا حفظت شيئا فافهمه، وإذا أتقنت شيئا فافهمه. إذ لا علم إلا بالفهم. وكل علم فهم. ولا يُفْهَمُ إلا علمٌ. وقد يَفهمُ العالم ولا يحفظ اللفظ. واعلم أن هناك من فضّله الله تعالى ورزقهم بالعلم الواسع والفهم السريع جدا، فليدْعُ كلّ

٧ ابن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله (المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ/١٩٩٤ م) ١٥٦. مع تصرف.

طالب ربَّه الفتاحَ العليمَ الوهابَ الخبير الرزاق أن يؤتيه من لدنه علما، فإن الدعاء مخ التعلم ومتممّه، فالتعلم دون الدعاء ذنب، والدعاء دون التعلم كذب. فكم من معلِّم بلّغ علما لتلاميذه تبليغا فلم يعلموا شيئا منه، وذلك بتركهم الدعاء. وإنما المعلم هو المبلّغ لا المعلّم المؤتي العلم، فإن المعلم المؤتي الحقيقي هو الله تبارك وتعالى، فاسأل الله العلم وتوسل إليه بتبليغ المعلِّم. فاللهم آتِنَا عِلْمًا[٨] وَعَلِّمْنَا مِنْ لَدُنْكَ عِلْمًا[٩] وَزِدْنَا عِلْمًا[١٠] وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُوْنَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُوْنَ أَحْسَنَهُ،[١١] آمين.

العلم عين الرزق وهو لا يعرف سن المرء

واعلم أن كل مولود تولاه الله برزقه، وقد تم كتب الرزق كما تم كتب العمل والأجل والشقاوة والسعادة قبل أن يولد. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «أَنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ المَلَكُ فَيُؤْذَنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ،» الحديث. فللمولود رزق. ومن الرزق العلم.

فقال الناظم رحمه الله تعالى:

---

٨ مقتبس من سورة النمل: ١٥. ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

٩ مقتبس من سورة الكهف: ٦٥. ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾

١٠ مقتبس من سورة طه: ١١٤. ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

١١ مقتبس من سورة الزمر: ١٨. ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

وَالْعِلْمُ قَدْ يُرْزَقُهُ الصَّغِيْرُ ﴿٢﴾ فِيْ سِنّه وَيُحْرَمُ الْكَبِيْرُ

التقطيع	وَلْ عِلْ مُقَدْ	يُرْ زَقُهُصْ	صَغِيْ رُوْ	فِيْسِنْ نِهِيْ	وَيُحْ رَمُلْ	كَبِيْ رُوْ
الترميز	o - - o - o -	o - - - o -	o - o - -	o - - o - o -	o - - o - -	o - o - -
اللفظ	وَلْعِلْمُقَدْ	يُرْزَقُهُصْ	صَغِيْرُوْ	فِيْسِنْنِهِيْ	وَيُحْرَمُلْ	كَبِيْرُوْ
التفعيل	مُسْتَفْعِلُنْ	مست×علن	مُxتَفْعِلْx	مستفعلن	مxتفعلن	مُxتَفْعِلْx
	مستفعلن	مُفْتَعِلُنْ	فَعُوْلُنْ	مستفعلن	مَفَاْعِلُنْ	فَعُوْلُنْ
الزحاف	[سالم]	[مطوي]	[مكبل]	[سالم]	[مخبون]	[مكبل]

(و) حيث إن **(العلم)** لا ينال إلا بتلك الطرق الأربعة فإنه **(قد يرزقه)** بصيغة المجهول **(الصغير)** مرفوع نيابة عن الفاعل، أي قد يرزقه الله الصغير، والعلم رزق من الله، بل هو أفضل الأرزاق منه تعالى. ولا رزق إلا بالعلم، فالمولود لايَرضَع أمه إلا بالعلم الذي آتاه الله إياه، والمال لايفيد شيئا إلا بهذا الرزق الأفضل، وأفضلُ العلمِ العلمُ بالعليم الأعلم سبحانه وتعالى وهو الذي علّم آدم الأسماء كلّها وهو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وهو العليم الخبير الحكيم. وإن أسعد الناس مَنْ رزقه الله تعالى بهذا العلم **(في)** صغر **(سنه)**، **(و)** انتبه أنه قد **(يحرم)** بالمجهول، أي من العلم **(الكبيرُ)** مرفوع نيابة عن الفاعل. فمن أخسر الناس –فالعياذ بالله— مَن لم يُرزَق من العلم شيئا في صغره ثم يحرم منه في كبره، فاجهد أن تكون عالما أو متعلما أو محبا للعلم ولأهله أو متّبعا لهم ولا تكن خامسا فتهلك،[١٢] ا.هـ حديث موقوف على سيدنا أبي الدرداء. والخامس هو المبتدع وهو من عمل عملا بغير علم، إذ العمل ثمرة العلم ولا العكس. فالعلم إذا انتُفع به أثمر العمل وما حواه، ولكنه كم من عمل لا يأتى بعلم فلا

١٢ ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ١٤٢.

يبقى إلا حركات الأركان والأبدان. فقد نبهنا الإمام ابن رسلان الشافعي في خطبة نظمه المسمى بـ «الزبد» بقوله:

وكل من بغير علم يعمل # أعماله مردودة لا تقبل

فأشار إلى أن هناك أعمالا لا تثمر شيئا من العلم فتبقى على ردها، إذ لو أطلق أن العمل يثمر العلم لقبل العمل بعد أن يثمر. فالمتعلم إذا عمل في الأوائل دون علم مثلا، ثم تعلّم من عمله بحيث أن يتقنه حتى يعلم بعدُ، ثم استمر هذا العمل بالعلم في الدوام قُبِل. بخلاف العامل الجاهل غير المتعلم، إذا عمل في الأوائل دون علم فلم يتعلم من عمله حتى يبقى عمله على الجهل في الدوام رُدّ.

كما أنه قد لا يثمر العلمُ شيئا، وذلك أيضا من باب حرمان العلم، فقد يرزق الرجل بالعلم في الصغر لكن علمه لا يثمر شيئا حتى في كبره. ومن باب حرمان العلم أيضا عالم متهتك وجاهل متنسك، فلا يجوز مطلقا التمسك بهما في الدين وفي كل شيء.

فائدة:

إن العلم لا يتوقف حصوله على سن دون سن. فالعلم لا يعرف سن المرء. فمن الناس من تعلم في الكبر مع شغله بكسب المال والجاه فيحرم من العلم، وذلك كثير. ومنهم من يتعلم في الكبر فيتركز في التعلم ويتجرد عن الشواغل والعوائق والقواطع فيرزق بالعلم مثل ما حدث عند سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه وغيره، كما أخرجه الإمام البخاري معلقا فعن عمر قال: «تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «... وَبَعْدَ أَنْ تُسَوَّدُوا وَقَدْ تَعَلَّمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِي كِبَرِ سِنِّهِمْ».[١٣] ومنهم من يتعلم في الصغر تعلما ولم يكن لديه شواغل فيجتهد فيه فيُرزَق بالعلم مثل ما حدث عند سيدنا عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما.

١٣ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، باب الاغتباط في العلم والحكمة.

العلم قيمة المرء

قال الناظم رحمه الله تعالى:

فَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ ﴿٣﴾ لَيْسَ بِرِجْلَيْهِ وَلَا يَدَيْهِ

التقطيع	فَ إِنْ نَمَلْ	مَرْ ءُ بِأَصْ	غَ رَيْ هِيْ	لَيْ سَ بِرِجْ	لَيْ هِوَلَا	يَ دَيْ هِيْ
الترميز	٥-٥--	٥---٥-	٥-٥--	٥---٥-	٥---٥-	٥-٥--
اللفظ	فَإِنَنَمَلْ	مَرْءُبِأَصْ	غَرَيْهِيْ	لَيْسَبِرِجْ	لَيْهِوَلَا	يَدَيْهِيْ
التفعيل	مxتفعلن	مستxعلن	مُxتَفْعِلْx	مستxعلن	مستxعلن	مُxتَفْعِلْx
	مَفَاْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	فَعُوْلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	فَعُوْلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[مطوي]	[مكبل]	[مطوي]	[مطوي]	[مكبل]

فبما أن الكبير قد يحرم من العلم، وبما أن الصغير قد يرزقه في صغره **(فإنما)** للحصر، يتكون من إن و ما الزائدة الكافة لعمل إن، **(المرء)** عام لطالب العلم أو غيره، إذ الألف واللام (ال) الداخلة على الاسم المفرد غير المعهود تفيد الاستغراق. أي فإنما يعرف قدر المرء وقيمتُه **(بأصغرية)** وهما القلب واللسان كما سيأتي بيانه. والجار والمجرور متعلق بمحذوف أي أن المرأ يقدر بأصغريه، وقال عبد الغني أبو العزم في «المعجم الغني» أن تقديره «يعيش المرء بأصغريه». و**(ليس)** يعيش المرء بعمره ولا بسِنه الذي يُقدَّر **(برجليه)** الثابتتين القائمتين **(ولا يديه)** الطويلتين القويتين. فما أجمل هذه المقولة من غلام صغير هاشمي رزقه الله وفضله على غيره من الكبار بعلم، فلما قدم هذا الغلام الصغير الحديث السن في وفد الحجاز على عمر بن عبد الغزيز للتهنئة على توليته الخلافة على المسلمين، فتقدم للكلام أمام الخليفة، فقال له عمر: لينطلق من هو أسن منك.

فأجاب الغلام على علم ويقين: أصلح اللهُ أميرَ المؤمنين، إنما المرء بأصغريه قلبِه ولسانِه، فإذا منح الله عبداً لساناً لافظاً، وقلباً حافظاً، فقد استحق الكلام وعرف فضلَه من سمع خطابه، ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسِن لكان في الأمة من هو أحق بمجلسك هذا منك. فقال عمر: صدقت يا غلام، قل ما بدا لك. فقال الغلام: أصلح اللهُ أميرَ المؤمنين، نحن وفدُ تهنئة لا وفدُ مَرْزِئَة أو تَرْزِئَة—وهي مصيبة—، وقد أتيناك لِمنِّ اللهِ الذي مَنَّ علينا بك، ولم يُقْدِمْنا إليك رغبةٌ أو رهبةٌ، أما الرغبة فقد أتيناك من بلادنا، وأما الرهبة فقد أمِنّا من جورك بعدلك.[١٤] فقال عمر: عظني يا غلام، فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، إن ناساً من الناس غَرَّهم حِلم الله عنهم وطولُ أملهم وكثرةُ ثناء الناس عليهم فزلّتْ بهم الأقدامُ فهووا في النار، فلا يغرنّك حِلم الله عنك وطولُ أملك وكثرةُ ثناء الناس عليك، فتزلَّ قدمُك، فتَلحق بالقوم، فلا جَعَلك الله منهم، وألحقك بصالحي هذه الأمة، ثم سكت.

فقال عمر: كم عمر الغلام؟ فقيل له: ابن إحدى عشرة سنة، ثم سأل عنه فإذا هو من ولد سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهم، فأثنى عليه خيراً، ودعا له، وتمثَّل قائلاً[١٥]:

تَعَلَّمْ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُوْلَدُ عَالِماً # وَلَيْسَ أَخُوْ عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ

فَإِنَّ كَبِيْرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ # صَغِيْرٌ إِذِ الْتَفَتْ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ

وذلك كله مصداق قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.[١٦] فسبب رفع الدرجات اثنان

---

١٤ وفي رواية: «لأننا قد أمِنّا في أيامك ما خِنَا، وأدركنا ما طلبْنا.» بدل قوله أما الرغبة إلى آخره.

١٥ أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري (ت: ٥٧٦ هـ)، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، (بيروت: دار الكتب الإسلامية، ٢٠٠٥)، ٣٣٢/١.

١٦ سورة المجادلة: ١١.

هما الإيمان والعلم. فمن الناس من يرفعه الله درجات بإيمانه، ومنهم من يرفعه كذلك بعلمه، ومنهم من يرفعه بهما وهو أرفعُهم درجةً فكن مؤمنا بالعلم يُكمَل لك دينك ودنياك.

محل العلم وآلته

قال الناظم رحمه الله تعالى:

لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ الْمُرَكَّبُ ﴿٤﴾ فِي صَدْرِهِ وَذَاكَ خُلْقٌ عَجَبُ

التقطيع	لِ سَا نُهُوْ	وَ قَلْ بُهُلْ	مُ رَكْ كَبُوْ	فِيصَدْرِهِيْ	وَذَاكَخَلْ	قُنْ عَ جَبُوْ
الترميز	o - - o - -	o - - o - -	o - - o - -	o - - o - o -	o - - o - -	o - - - o -
اللفظ	فَإِنَنَمَلْ	مَرْءُبِأَصْ	غَرَيْهِيْ	لَيْسَبِرِجْ	لَيْهِوَلَا	يَدَيْهِيْ
التفعيل	مِxتفعلن	مِxتفعلن	مِxتفعلن	مستفعلن	مِxتفعلن	مستxعلن
	مَفَاْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مستفعلن	مَفَاْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[مخبون]	[مخبون]	[سالم]	[مخبون]	[مطوي]

فالأصغران اللذان امتاز بهما المرء على غيره هما: أولا **(لسانه)** إذ المرء يعرف بالعلم إذا تكلم بلسانه. فيعرف باللسان ما يخطر في البال وما يدرك في العقل من العلم وما يعتقد في القلب من الإيمان. فلا يتم إبداء الرأي والعلم إلا باللسان، فالعلم لا يعرف بالرجلين ولا باليدين وإنما بالكلام، فإما مكتوبا وإما مقولا. ومع ذلك، لا يقبل الكلام ولا يحتج به إلا ما كان على علم. **(و)** ثانيا **(قلبه)** لأن العلم مَقَرّه في القلب. فالقليل إذا قرّ في القلب صار علما، والكثير إذا فرّ من القلب صار عدما. والكلام

الصادر من اللسان فقط لايكون علما إلا إذا نبع من قلب خاشع سليم. فكما أوجب القلب الخاشع علما نافعا، أوجب العلم النافع قلبا خاشعا كذلك. والقلب الخاشع هو **(المركب في صدره)** أي الثابت المتأصل في صدر المرء، والقلب المركب في الصدر هو عبارة عن القلب الخاشع السليم حيث لا يركب قلب المرء على رجليه ولا على ركبتيه ولا على يديه، بل هو ثابت كائن مستقر في الصدر. فمتى انشرح صدر المرء فهو عالم، وإن كان صغيرا من حيث سنه. وعلى العكس، فمتى ضاق صدره أواكتأب قلبه أواضطرب عقله فليس بعالم وإن كان كبير السن قوي الرجل واليد. **(وذاك)** المرء إذا نطق بأصغريه وعاش بهما فيقدَّر ويرفع بهما درجاته وهيبته، فعليه **(خُلْق)** بضم أوله وهو صفة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بغير تكلف، جمع أخلاق. ويسكن ثانيه، جمع أَخْلَقُ وخَلْقاء، صفة مشبهة تدل على الثبوت، لا يؤثّر فيه شيء. ويجوز أن يقرأ بفتح الأول «خَلْقٌ» وهو تكوين وبِنْية الإنس، حيث كان المرء إذا لم تنقص بنيته تم خَلْقه، وبنية الإنس اللسان والقلب. فقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ فكان حسن تقويم الإنسان في لسانه وقلبه. فبلسانه ينطق وبقلبه يعلم. فمن حسن تركيب لسانه وقلبه فذاك خَلْقٌ **(عجب)** أي شديد، عُجاب، ورضا. فالعَجَب من الله رضاه. فمن حسن لسانه وقلبه ظهر منه خُلقٌ مرضي. فيراد من ذلك أن الرجل إذا تكلم وعمل بعلمه الظاهرِ بلسانه والنابعِ من قلبه الخاشع المركب في صدره فذاك صورة من صور الخلق العظيم العجاب المرضي. وكذا يجوز أن يراد بالخَلْق العَجَب أن الرجل في أحسن تقويم ما دام في أحسن قلب ولسان. وكل ذلك مصداق قوله ﷺ: إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ. متفق عليه.

فوائد:

١. إن اللسان مرآة القلب والعقل، فاحفظ لسانك يحفظ قلبك وعقلك.

٢. ففي باب العلم أن القلب محله واللسان آلة بيانه. فامتاز بهما الإنس على سائر الخَلق. وكذا امتاز بهما المرء على غيره من الإنس في القدْر.

٣. واعلم أن العلم من حيث مخرجه نوعان هما علم في اللسان وعلم في القلب. فما خرج من القلب نور، وما خرج من اللسان نار إلا ما وافق القلب.

٤. وسمي اللسان والقلب بالأصغرين لصغر حجمهما مع كبر نفعهما وقيمتهما وأهميتهما، ولارتباط بين كل منهما إذ ما يحتوي عليه القلب من إيمان وصدق وكذب سوف يظهر على اللسان، فالقلب هو الباطن واللسان هو الظاهر الذي يعرف به ما يوجد في القلب.

٥. فقال ابن السِّكِّيتِ: ومن أمثال العرب: المرْء بِأَصْغَرَيْهِ؛ وأصغراه قلبه ولسانه، ومعناه أن المرء يعلو الأمور أي يضبُطُها بجَنَانِه ولسانه، وكذا قاله أبو منصور الأزهري (٣٧٠ هـ/٩٨٠ م) في تهذيب اللغة . ونقل الهروي (ت ٤٠١ هـ/١٠١٠ م) في «الغريْبَيْن في القرآن والحديث» الخبرَ ما نصه (المرء بأصغريه إن قاتل بجنان وإن تكلم تكلم ببيان) ا.هـ.

تنبيه

١. تدبرْ قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ تجد فيها أن الإنسان ولد جاهلا لا يعلم شيئا. ولكن جعل الله له آلات ثلاث للتعلم هن السمع والأبصار والأفئدة.

٢. وتذكّر أن حقيقة العلم إدراكُ الواقع، وهو ركن من أركان الفقه في

الدين. ثم إن السمع عبارة عن آلة للتعلم وإدراك ما مضى من الوقائع السالفة أو التاريخية، وإن الأبصار عبارة عن آلة التعلم بما هو حاضر من الوقائع الخارجية الظاهرة، وأما الأفئدة فهي عبارة عن آلة التعلم بما لا يحس به من الأمور الغيبيات والوقائع النفسية والوقائع المستقبلية وغيرها. فالسمع مدركه واحد وهو الصوت، فالعلم يدرك به منه. وأما الأبصار فمدركاتها كثيرة منها الأعيان والألوان الظاهرتان وغيرهما، فالعلم يدرك بها منها. وكذلك الأفئدة فمدركاتها كثيرة أيضا فكل ما لا يدرك بالحواس يدرك بها.

٣. وقد ذكرنا في كتابنا «الفوائد المستمدة من أحاديث الأربعين النووية» عند شرحنا لحديث جبريل وهو الحديث الثاني المسمى بأم السنة أن الدين يتكون من أربعة أركان هن الإسلام والإيمان والإحسان وإدراك الواقع. فمن ثم كان الفقه في الدين لا بد له من الإحاطة بذلك كله.

٤. فإليك صورة ذهنية لذلك:

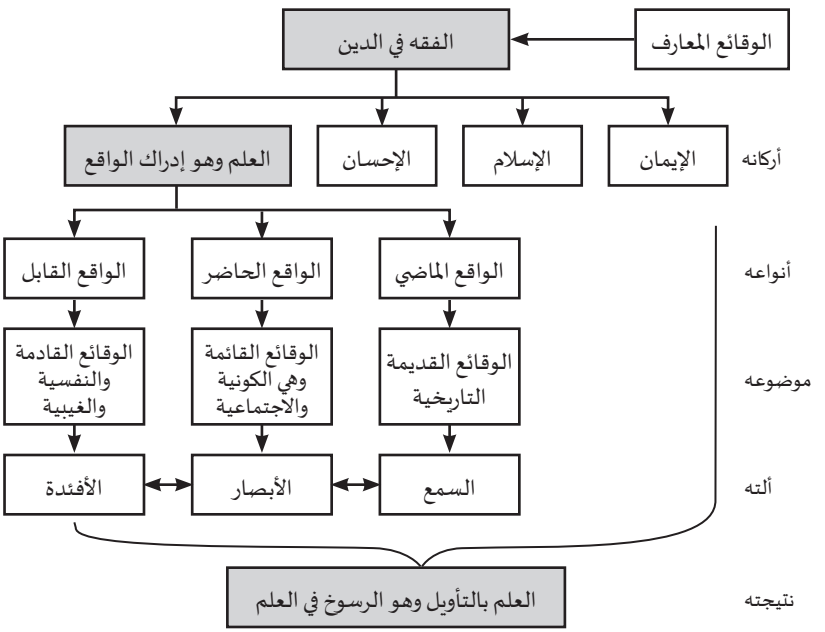

موارد إحياء العلم وإيصاله إلى النفس والقلب

وحيث إن مَحل العلم هو القلب فكيف إيصاله إليه؟ فقال الناظم رحمه الله تعالى:

وَالْعِلْمُ بِالْفَهْمِ وَبِالْمُذَاكَرَةِ ﴿٥﴾ وَالدَّرْسِ وَالْفِكْرَةِ وَالْمُنَاظَرَةِ

التقطيع	وَلْ عِلْ مُبِلْ	فَهْ مِ وَبِلْ	مُ ذَا كَرَهْ	وَدْ دَرْ سِوَلْ	فِكْ رَ تِوَلْ	مُنَا ظَرَهْ
الترميز	o - - o - o -	o - - - o -	o - - o - -	o - - o - o -	o - - - o -	o - - o - -
اللفظ	وَلْعِلْمُبِلْ	فَهْمِوَبِلْ	مُذَاكَرَهْ	وَدْدَرْسِوَلْ	فِكْرَتِوَلْ	مُنَاظَرَهْ
التفعيل	مستفعلن	مستxعلن	مxتفعلن	مستفعلن	مستxعلن	مxتفعلن
الزحاف	مُسْتَفْعِلُنْ [سالم]	مُفْتَعِلُنْ [مطوي]	مَفَاْعِلُنْ [مخبون]	مُسْتَفْعِلُنْ [سالم]	مُفْتَعِلُنْ [مطوي]	مَفَاْعِلُنْ [مخبون]

(والعلم) يتحقق تحصيلُه وإدراكه وإيصاله إلى القلب والنفس أولا **(بالفهم)** أي الإدراك والإحاطة بالشيء كما مر، لا بمجرد الحفظ أوالقراءة أو السماع أو الكتابة فإن ذلك علم ميّت لا يحيى. فالجار والمجرور متعلق بمحذوف، في محل رفع خبر للمبتدأ. فتقديره أن العلم يدرك بالفهم، **(و)** يكون بعد ذلك إحياؤه **(بالمذاكرة)** من باب فاعل يفاعل مفاعلة، للمشاركة، فالعلم قد لا يأتي لرجل فرد، فقد أدرك الرجل الفردُ تصور المسألة لكنه على وهم أو شك أو أنساه الشيطان فاحتاج المتعلم إلى قرين يجالسه فيذاكره، وكذا الحافظ والكاتب والقارئ والسامع قد يخطئ أحدهم في ذلك ولم يتنبه إلا بالمذاكرة، فللّه درّ القائل: إنما حياة العلم بالمذاكرة. فالعلم قد لا يحيى فيستقر ويموت في ذاكرة الرجل أو في صدره أو في سطوره فلم يُفِد هذا العلم شيئا إلا إذا ذاكره الآخر، فذاك حياته.

(و) يأتي بعد ذلك إحياؤه بـ **(الدرس)** مجرور على العطفية، أي أن العلم إحياؤه بالمذاكرة والدرس. فيلزم بعد الفهمِ والمذاكرةِ الدرسُ، وهو ما يملأ به الطالب وقتَه وفراغه، ولا فراغ للطالب الدارس. فالدرس هو عمله الدائم المستمرّ. فالطالب الدارس في شغل شاغل عما حوله. وقد يطلق الدرس على التَعَهّد بالقراءة والحِفظ لئلا ينسى فيحيط بما فيه من علوم أو معارف ليفهمها ويتعرفها. **(و)** كذا، بـ **(الفكرة)** أي حياة العلم بالفكرة، وهي تحقيق النظر في ما يبتغى من العلم، وذلك بإيصاله إلى القلب مرة بعد مرة، واستخراج المعاني من المباني، أو تحويل المعلوم إلى المعمول لا المأمول المجرد، أو استخراج الفروع من الأصول أوتأصيلها إليها. فيا طالب العلم، أحْي علمك بالفكرة حتى لا يموت ما درست وذاكرت وفهمت. والفكرة هي الصُّورَةُ الذهنيّةُ لأمر ما، وهي التدبر العقلي للأمور، ويجوز أيضا إطلاقها على تفسير أو ردّ فعل يخطر على البال فيما بعد. فمن ثم بدا لنا أن من طرق إحياء العلم الذي في الذهن إعمالَ العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول أو إلى نتيجة أو حلّ أو قرار. **(و)** كذا بـ **(المناظرة)** أي المناقشة والمباحثة والمجادلة. وهذا هو آخر منازل تحصيل العلم وإحيائه. ولا تجعل المناظرة في المنزل الأول قبل الفهم والمذاكرة والدرس والفكرة. فبعد ذلك كله أن العلم الذي تلقيته من السماع أو القراءة أو الحفظ أو الكتابة أو الإجازة لا يكون حيًّا إلا بإعمال واحد من هذه الطرق الخمسة على الأقل.

وفيه قال الإمام الخليل بن أحمد: اجعل تعليمك دراسة لك، واجعل مناظرة العلم تنبيها بما ليس عندك، وأكثِرْ من العلم لتَعلم، وأقِلَّ منه لتَحفظ.[١٧]

١٧ ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ١٥٦.

تنبيهان:

١. إن هذه المنازل والموارد إنما هي منازل وموارد إحياء العلم وإيصاله إلى القلب أو النفس. فكل معلوم لا يحيا ولا يصل إلى القلب بدونها. وهي ليست منازل وموارد العلم بعينه. إذ منازل العلم أولها النية ثم الإنصات والاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر.[١٨]

٢. تلك منازل العلم للوصول إلى القلب. فالمنزلة الأولى الفهم، فبه يصل المعلوم إلى القلب. وإن لم يكن بالفهم فبالمذاكرة، وإلا فبالدرس، وإلا فبالفكرة، وإلا فبالمناظرة. فبجميعها ترسّخ العلم في القلب. وإذا بلغ العلم القلب حصل الإيمان، فقد قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.[١٩]

١٨ ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ١٤٢.

١٩ سورة آل عمران: ٧.

الباب الثاني
أقسام الناس باعتبار علمهم

القسم الأول: حامل علم وليس بعالم

قال الناظم رحمه الله تعالى:

فَرُبَّ إِنْسَانٍ يَنَالُ الْحِفْظَا ﴿٦﴾ وَيُورِدُ النَّصَّ وَيَحْكِي اللَّفْظَا

التقطيع	فَ رُبْ بَإِنْ	سَا نِنْ يَنَا	لُلْ حِفْ ظَا	وَيُوْرِدُنْ	نَصْ صَ وَيَحْ	كِلْ لَفْ ظَا
الترميز	o - - o - -	o - - o - o -	o - o - o -	o - - o - -	o - - - o -	o - o - o -
اللفظ	فَرُبْبَإِنْ	سَانِنْيَنَا	لُلْحِفْظَا	وَيُوْرِدُنْ	نَصْصَوَيَحْ	كِلْلَفْظَا
التفعيل	مxتفعلن	مستفعلن	مُسْتَفْعِلْx	مxتفعلن	مستxعلن	مُسْتَفْعِلْx
	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفْعُوْلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مَفْعُوْلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[سالم]	[مقطوع]	[مخبون]	[مطوي]	[مقطوع]

وَمَا لَهُ فِي غَيْرِهِ نَصِيبُ ﴿٧﴾ مِمَّا حَوَاهُ الْعَالِمُ الْأَدِيبُ

التقطيع	وَ مَا لَهُوْ	فِي غَيْ رِهِي	نَ صِيْ بُوْ	مِمْ مَاحَوَا	هُلْ عَالِمُلْ	أَ دِيْ بُوْ
الترميز	o - - o - -	o - - o - o -	o - o - -	o - - o - o -	o - - o - o -	o - o - -
اللفظ	وَمَالَهُوْ	فِيْغَيْرِهِي	نَصِيْبُوْ	مِمْمَاحَوَا	هُلْعَالِمُلْ	أَدِيْبُوْ
التفعيل	مxتفعلن	مستفعلن	مُxتَفْعِلْx	مستفعلن	مستفعلن	مُxتَفْعِلْx
	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعُوْلُنْ	مستفعلن	مستفعلن	فَعُوْلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[سالم]	[مكبل]	[سالم]	[سالم]	[مكبل]

واعلم أن الناس متفاوتون في العلم وتحصيله وفي كيفيته **(فرب إنسان ينال الحفظ)** حيث رزقه الله بسرعة الحفظ وقوته حتى إذا سمع كلاما طويلا مرة واحدة حفظه جيدا **(ويورد النص)** أي يستطيع ذلك الحافظ أن يأتي بنصوص من محفوظاته بسرعة وسهوله، وذلك عبارة عن قوة حفظه وإتقانه **(ويحكي اللفظ)** أي يستطيع أن يروي ويؤدي ما سمعه إلى غيره لفظيا كما سمع لا معنويا، وهو الرجل التام الحفظ. **(و)** لكن **(ما له)** أي لا يكون لذلك الحافظ **(في غيره)** أي في غير الحفظ وإيراد النص وحكاية اللفظ **(نصيب)** أي حظ **(مما حواه العالم)** الفاهم وإن كان غيرَ حافظٍ موردِ النص و**(الأديب)** البليغ الماهر في الكلام والآداب والبيان الوافر الواسع.

فالحافظ المتقن الذي ليس له في غير حفظه نصيب مثل الحاسب الآلي ومثل قوقل (google)، فإنه يستطيع بغاية السرعة على إيتان النص المكتوب في شبكات شتى لكنه لا يفهم شيئا مما حواه ذلك النص ولا يستطيع أن يبينه بيانا وافرا. فالعلم على ذلك الحال ميت لا يحيى. فالحافظ المتقن الذي هكذا حاله لابد أن يحيي حفظه بالفهم والمذاكرة والدرس والفكرة والمناظرة حتى لا يكون مثل المكينة ولا شريكا لقوقل، بل أصبح حفظه القوي علما حيا نافعا.

فذاك قسم أول لمن كان له علم، وهو ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله رب حامل فقه غيرُ فقيه،[1] وهو الذي قال فيه النبي ﷺ أيضا رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.[2] فالمرء الحافظ الذي على هذا الحال لا يليق له الكلام ولا الفتوى ولا مجادلة العلماء. بل الذي يليق به السكوتُ.

---

١ رواه أبو داود، رقم: ٣٦٦٠، والترمذي رقم: ٢٦٥٦، وابن ماجة رقم: ٢٣٠، ٢٣٦، ٣٠٥٦. واللفظ له.

٢ رواه أبو داود، رقم: ٣٦٦٠، والترمذي رقم: ٢٦٥٦، ٢٦٥٨، وابن ماجة رقم: ٢٣١، ٢٣٠، ٢٣٦، ٣٠٥٦. كلهم بهذا اللفظ. وهو نفس الحديث مع ما قبله.

لأن المتكلم في فن من فنون العلم لا بد من أن يكون لديه قدرة وكفاءة في إلحاق الفرع بأصله وفي تحقيق الأصل من فرعه وفي وصل المعقول بمنقوله وفي نسبة المنقول وعزوه إلى مخارجه الأصلية وفي عرض فهمه للمنقول على ما استنبطه علماؤه. وإلا فعليه السكوت وإن كان قادرا على إيراد النص لفظيا. إذ خطؤه أكثر من صوابه، وضلاله أسرع من هدايته، إلا إذا اقتصر على مجرد النقل لا القول، فيسلم نقله.

وكذا في حق القول بالعلم على العالم الأديب إذا لم يُجِد في حفظ النص وإيراده لفظيا فلا يليق له أن ينقل شيئا وينسبه إلى المصادر، فحق له أن يقول بقوله فينسبه لنفسه ولا ينسبه إلى أحد من غيره ولا سيما إلى النبي ﷺ، فروايته ونقله نصا من العلم أقرب إلى الكذب. وإذا تجرأ على الكلام فكلامه بدعة مؤدية إلى الفتن، والعياذ بالله وهو تعالى أعلم.

القسم الثاني: المتعلم وهو محبّ العلم وأهلِه

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَرُبَّ ذِي حِرْصٍ شَدِيدِ الْحُبِّ ﴿٨﴾ لِلْعِلْمِ وَالذِّكْرِ بَلِيدُ الْقَلْبِ

التقطيع	وَ رُبْ بَذِيْ	حِرْصِنْ شَدِيْ	دِلْ حُبْ بِيْ	لِلْ عِلْ مِوَذْ	ذِكْ رِبَلِيْ	دُلْ قَلْ بِيْ
الترميز	o - - o - -	o - - o - o -	o - o - o -	o - - o - o -	o - - - o -	o - o - o -
اللفظ	وَرُبْبَذِيْ	حِرْصِنْشَدِيْ	دِلْحُبْبِيْ	لِلْعِلْمِوَذْ	ذِكْرِبَلِيْ	دُلْقَلْبِيْ
التفعيل	مxتفعلن	مستفعلن	مُسْتَفْعِلْx	مستفعلن	مستxعلن	مُسْتَفْعِلْx
	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفْعُوْلُنْ	مستفعلن	مُفْتَعِلُنْ	مَفْعُوْلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[سالم]	[مقطوع]	[سالم]	[مطوي]	[مقطوع]

مُعَجَّزٌ فِي الْحِفْظِ وَالرِّوَايَةْ ﴿٩﴾ لَيْسَتْ لَهُ عَمَّنْ رَوَى حِكَايَةْ

التقطيع	مُ عَجْ جَزُنْ	فِلْ حِفْ ظِوَرْ	رِوَا يَهْ	لَيْسَتْ لَهُوْ	عَمْ مَنْ رَوَىْ	حِكَايَهْ
الترميز	o - - o - -	o - - o - o -	o - o - -	o - - o - o -	o - - o - o -	o - o - -
اللفظ	مُعَجْجَزُنْ	فِلْحِفْظِوَرْ	رِوَايَهْ	لَيْسَتْلَهُوْ	عَمْمَنْرَوَىْ	حِكَايَهْ
التفعيل	مxتفعلن	مستفعلن	مُxتَفْعِلْx	مستفعلن	مستفعلن	مُxتَفْعِلْx
	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعُوْلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعُوْلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[سالم]	[مكبل]	[سالم]	[سالم]	[مكبل]

ويجوز أن يقرأ كما في بعض النسخ:

مُعْتَجِزٌ فِي الْحِفْظِ وَالرِّوَايَةْ ﴿٩﴾ لَيْسَتْ لَهُ عَمَّا رُوِيْ حِكَايَةْ

التقطيع	مُعْ تَجِ زُنْ	فِلْ حِفْ ظِوَرْ	رِوَا يَهْ	لَيْسَتْ لَهُوْ	عَمْ مَارُوِيْ	حِكَايَهْ
الترميز	o - - - o -	o - - o - o -	o - o - -	o - - o - o -	o - - o - o -	o - o - -
اللفظ	مُعْتَجِزُنْ	فِلْحِفْظِوَرْ	رِوَايَهْ	لَيْسَتْلَهُوْ	عَمْمَارُوِيْ	حِكَايَهْ
التفعيل	مستxعلن	مستفعلن	مُxتَفْعِلْx	مستفعلن	مستفعلن	مُxتَفْعِلْx
	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعُوْلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعُوْلُنْ
الزحاف	[مطوي]	[سالم]	[مكبل]	[سالم]	[سالم]	[مكبل]

(و) القسم الثاني ما أشار إليه الناظم بقوله **(رب ذي حرص شديد الحب للعلم)** أي إنسان له قوة رغبة في العلم والتعلم فيحب العلم **(والذكر)** أي يحب ذكر الله والقيام بالعبادات، وكذا يحب ذكر العلم، لكنه **(بليد القلب)** مرفوع خبر للمبتدإ. أي بَطِيء الفَهمِ، خَامِل،

قليل النَّشَاطِ، فلا يحفظ ولا يفهم لأنه **(معجَّز في الحفظ)** وهو بطيء في الحفظ معتجز فيه، وليس له نصيب من الحفظ، بخلاف القسم الأول، **(و)** كذا عاجز في **(الرواية)** لأنه سيّء الحفظ فلا يستطيع أن يورد النص ولا يحكي اللفظ، وهو ليس من أهل الرواية، حيث **(ليست له)** أي لهذا الحريص المحب لكن البليد العاجز **(عما رُوِي)** من الحديث والعلم والخبر والنص، بصيغة الجهل، وفي رواية «عمن رَوَى» بصيغة المعلوم، ولا فرق بينهما في المعنى **(حكايةٌ)** مرفوع اسم ليس، وهي بمعنى رواية أو خبر أو حديث أو نقل أو علم، ويراد بذلك أن الرجل ليس له نصيب في الإسناد والرواية والدراية، وإنما نصيبه في الحرص والحب والاتباع لأهل العلم فقط. والذي هذا حاله لا يليق له الكلام، لا النقل ولا القول، بل لزمه السكوت والاتباع على أهل العلم ومحبتهم. وهذا درجة المحبين والمتّبعين. وإنما الذي يليق به الاشتغال بالعبادة وغيرها من الأعمال التي يثاب عليها ويقضي عمره بأنواع الطاعات، مع الاتّباع لأهل العلم.

القسم الثالث: العالم الفقيه

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَآخَرُ يُعْطِي بِلَا اجْتِهَادِ ﴿١٠﴾ حِفْظًا لِمَا قَدْ جَاءَ فِي الْإِسْنَادِ

التقطيع	وَءَا خَرُوْ	يُعْ طِيْ بِلَجْ	تِهَا دِيْ	حِفْ ظَنْ لِمَا	قَدْ جَا ءَفِلْ	إِسْ نَادِيْ
الترميز	٥--٥-	٥--٥-٥-	٥-٥--	٥--٥-٥-	٥--٥-٥-	٥-٥-٥-
اللفظ	وَءَاخَرُوْ	يُعْطِيْبِلَجْ	تِهَادِيْ	حِفْظَنْلِمَا	قَدْجَاءَفِلْ	إِسْنَادِيْ
التفعيل	مxتفعلن	مستفعلن	مُxتَفْعِلْx	مستفعلن	مستفعلن	مُسْتَفْعِلْx
	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعُوْلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفْعوْلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[سالم]	[مكبل]	[سالم]	[سالم]	[مقطوع]

يَهْدِهِ بِالْقَلْبِ [وَ]لَا بِنَاظِرِهْ ﴿١١﴾ لَيْسَ بِمُضْطَرٍّ إِلَى قَمَاطِرِهْ

التقطيع	يَهْ دِ هِبِلْ	قَلْ بِ وَلَا	بِنَا ظِرِهْ	لَيْ سَ بِمُضْ	طَرْ رِنْ إِلَىْ	قَمَاطِرِهْ
الترميز	o---o-	o---o-	o---o--	o---o-	o---o-o-	o--o--
اللفظ	يَهْدِهِبِلْ	قَلْبِوَلَا	بِنَاظِرِهْ	لَيْسَبِمُضْ	طَرْرِنْإِلَىْ	قَمَاطِرِهْ
التفعيل	مستxعلن	مستxعلن	مxتفعلن	مستxعلن	مستفعلن	مxتفعلن
	مُفْتَعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ
الزحاف	[مطوي]	[مطوي]	[مخبون]	[مطوي]	[سالم]	[مخبون]

يَهُزُّهُ بِالْقَلْبِ لَا بِنَاظِرِهْ ﴿١١﴾ لَيْسَ بِمُضْطَرٍّ إِلَى قَمَاطِرِهْ

التقطيع	يَ هُزْ زُهُوْ	بِلْ قَلْ بِلَا	بِنَا ظِرِهْ	لَيْ سَ بِمُضْ	طَرْ رِنْ إِلَىْ	قَمَاطِرِهْ
الترميز	o--o--	o--o-o-	o--o--	o---o-	o---o-o-	o--o--
اللفظ	يَهُزْزُهُوْ	بِلْقَلْبِلَا	بِنَاظِرِهْ	لَيْسَبِمُضْ	طَرْرِنْإِلَىْ	قَمَاطِرِهْ
التفعيل	مxتفعلن	مستفعلن	مxتفعلن	مستxعلن	مستفعلن	مxتفعلن
	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[سالم]	[مخبون]	[مطوي]	[سالم]	[مخبون]

(وآخر) وهو القسم الثالث من الناس في حقهم من العلم هو الذي **(يعطي)** فيه وجهان الأول بصيغة المجهول «يُعْطَى» أي يعطى له من العلم والحفظ والفهم، وذلك نظير ماقبله «ينال الحفظ»، والثاني بصيغة المعلوم أي يُعْطِيْ القول والعلم والفتوى والفهم، وذلك نظير قوله «يورد النص ويحكي اللفظ» **(بلا اجتهاد)** أي بلا صعوبة، وإنما يُعْطَى له من العلم من لدن الله وهو المسمى بالعلم اللدني الوهبي، أو يُعطِي ذلك بعلمه **(حفظا)** أي من حفظه القوي المتقن لأنه الحافظ التامّ الضبط،

حيث كان قادرا على إتيان أقوال وعلوم و فوائد مستنبطة ومستخرجة من أدلة مطابقة **(لما جاء في الإسناد)** الصحيح أو الحسن. والمراد بما جاء في الإسناد هو الخبر من الأستاذ، وهو الأحاديث النبوية أو المعلومات السمعيات الشرعية. وهذا القسم للحفاظ الفقهاء العلماء، وهو الذي أشار إليه النبي ﷺ بقوله نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمع.[٣]

والذي كان عليه تلك الصفة لا يليق به السكوت فيكونَ شيطانا أخرس، بل لزمه الكلام بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن. فكلامه حقا من خير الذهب وليس فقط فضة بيضاء، وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى في آخر المنظومة. فهذا قسم يفتح الله عليه بالفهم ودقة النظر وحسن الاستنباط، **(يهده)** أي يتكلم في العلم ويحفظه، وفي نسخة (يهزّه) أي أطاب نفسه ونشّطها وحرّكها للعلم **(بالقلب)** أي بقوة القلب، فيحفظ بقلبه الآيات الكريمة ومتون الأحاديث الشريفة والأخبار المسموعة والمعانيَ المستنبطة والحِكم الربانية ثم يحييها به **(لا بناظره)** أي لا بعينيه اللتَين يقرأ ويكتب وينظر ويبصر بهما، وهو من غير احتياج إلى تحفُّظ الألفاظ وقد حفظها، و **(ليس بمضطر)** أي ليس بحاجة ماسة ولا باهتمام **(إلى قماطره)** جمع قِمَطْر بكسر القاف وفتح الميم وسكون الطاء، كذا في لسان العرب، وهو ما يصان فيه الكتب، وهو بمنزلة الحقيبة أو الكمبوتر أو المحمول الذكي في وقتنا الحاضر. فالحافظ المتقن المتمكن الراسخ في العلم غير مفتقر إلى الكتب الموضوعة في القماطر. وهذا هو الذي إذا اجتهد ينال المرتبة العليا في العلم.

---

٣ رواه أبو داود، رقم: ٣٦٦٠، والترمذي رقم: ٢٦٥٦، ٢٦٥٨، وابن ماجة رقم: ٢٣١، ٢٣٠، ٢٣٦، ٣٠٥٦. كلهم بهذا اللفظ. وهو أيضا نفس الحديث مع ما قبله.

الباب الثالث
جامع أداب العلم

مراحل العلم وقاعدته: الأدب قبل الطلب

قال الناظم رحمه الله تعالى:

فَالْتَمِسِ الْعِلْمَ وَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ ﴿١٢﴾ وَالْعِلْمُ لَا يَحْسُنُ إِلَّا بِالْأَدَبِ

التقطيع	فَلْ تَ مِسِلْ	عِلْ مَ وَأَجْ	مِلْ فِظ طَلَبْ	وَلْ عِلْ مُلَا	يَحْ سُ نُإِلْ	لَا بِلْ أَدَبْ
الترميز	o - - - o -	o - - - o -	o - - o - o -	o - - o - o -	o - - - o -	o - - o - o -
اللفظ	فَلْتَمِسِلْ	عِلْمَوَأَجْ	مِلْفِظْطَلَبْ	وَلْعِلْمُلَا	يَحْسُنُإِلْ	لَابِلْأَدَبْ
التفعيل	مستxعلن	مستxعلن	مستفعلن	مستفعلن	مستxعلن	مستفعلن
	مُفْتَعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ
الزحاف	[مطوي]	[مطوي]	[سالم]	[سالم]	[مطوي]	[سالم]

(فالتمس) أي فاطلب **(العلم)** فإن العلم يؤتى ولا يأتي **(وأجمل)** أي وأحسن **(في الطلب)** فإن الإحسان في الطلب عين العلم وحقُه عليك. والعلم زين لأهله، **(والعلم لا يحسن إلا بالأدب)** أي وإنما جمال العلم بالأدب، فلا جمال لمن حمل علما وليس متأدبا، فيكون علمه حينئذ شَينا وعيبا وقبحا، وهو الذي يشين ويقبح العلم في الواقع لا العكس. بل والأدب هو وَقود العلم وجسمه، فقد قال الإمام أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري (ت ٣٤٤ هـ): علم بلا أدب كنار بلا حطب، وأدب بلا علم كجسم

بلا روح.[١] وفيه أمر بتقديم الأدب على طلب العلم. فكان مهمًّا لأن يعرفه الآباء والأمهات والمعلّمون أن يعلّموا الأولاد والأطفال الأدب أولا قبل أن يعلّمهم بالمعارف والفنون، فالأطفال في المدارس الابتدائية ينبغي أن لا يطلب إلا الأدب، فبدأوا بطلب العلم عند ما كانوا بالمرحلة المتوسطة مع دوام مراعاة الآداب. وفي بعض النسخ قال الناظم: والعلم لا يحصل إلا بالأدب، أي أن العلم لا يأتي إلا إلى المتأدب. فأنت إذن، لما شعرت بصعوبة في تحصيل العلم، فأجمل الطلب وأحسن الأدب، تأتيك الحِكم التي هي عين العلم.

فوائد:

١. قال الإمام سفيان الثوري (ت١٦١هـ): كان يقال حسن الأدب يطفئ غضب الرب عز وجل.[٢]

٢. وقال الإمام عبد الله ابن المبارك (ت ١٨١ هـ): طلبت الأدب ثلاثين سنة، وطلبت العلم عشرين سنة، وكانوا يطلبون الأدب قبل العلم.[٣] بل وقد قال الإمام أيضا إنه كاد الأدب يكون ثلثي الدين.[٤] ا.هـ ومن ثم، فمن لا يتأدب فقد فاته الثلثان وما له إلا أقل من الثلث. وقال أيضا: قال لي مخلد بن الحسين (ت ١٩١هـ) نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث.[٥] وقال الإمام الليث بن سعد لأصحاب

---

١ الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (الرياض: مكتبة المعارف، د.ت)، ٨٠/١.

٢ أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٩ هـ)، ٣٦٢/٦.

٣ القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، (بيروت: دار الكتب العلمية، دت.)، ١٧٠/١.

٤ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، صفة الصفوة، (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٠)، ٣٣٠/٢، وانظر أيضا: عبد الوهاب الشعراني، المنح السنية على الوصية المتبولية (بيروت: دار الكتب العلمية، دت.)، ٣٠.

٥ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي الفارسي، المحدث الفاصل بين

الحديث: تعلموا الحلم قبل العلم.[٦]

٣. وقد حدَث عند بعض أهل الحديث الذي هو أشرف العلوم فتنةٌ، فعن زُغبةَ عيسى بنِ حماد التُجيبي (ت ٢٤٨هـ) قال: سمعت الليث بن سعد (ت١٧٥ هـ) يقول: وقد أشرفَ على أصحاب الحديث، فرَأى منهم شيئا فقال: ما هذا؟ أَنْتُمْ إلى يسيرٍ من الأدب أحوجُ منكم إلى كثير من العلم.[٧] وقال سفيان: نَظَرَ عبيد الله بن عمر إلى أصحاب الحديث وزِحَامِهم، فَقَالَ: شِنْتُمُ الْعِلْمَ وذهبتم بنوره. ولو أدركْنا وإياكم عمرَ بنَ الخطاب لأوجعَنَا ضربا.[٨] وعن محمد بن عيسى الزجاج قال: سمعت أبا عاصم يقول: من طلب هذا الحديث فقد طلب أعلى أمور الدين، فيجب أن يكون خير الناس.[٩]

الأدب الأول: حسن السمت وقليل القول

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَالْأَدَبُ النَّافِعُ حُسْنُ السَّمْتِ ﴿١٣﴾ وَفِي كَثِيرِ الْقَوْلِ بَعْضُ الْمَقْتِ

الراوي والواعي، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٤ هـ)، ٥٥٩.

٦ ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ٥٠٨.

٧ الخطيب البغدادي، شرف أصحاب الحديث، (أنقرة: دار إحياء السنة النبوية، دت.)، ١٢٢.

٨ الخطيب البغدادي، شرف أصحاب الحديث، ١٢٢.

٩ جلال الدين السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦)، ٨٣/٢.

التقطيع	وَلْ ءَ دَبْنْ	نَا فِ عُحُسْ	نُسْ سَمْ تِيْ	وَفِي كَثِيْ	رِلْ قَوْ لِبَعْ	صُلْ مَقْ تِيْ
الترميز	o - - - o -	o - - - o -	o - o - o -	o - - o - -	o - - o - o -	o - o - o -
اللفظ	وَلْءَدَبْنْ	نَافِعُحُسْ	نُسْسَمْتِيْ	وَفِيْكَثِيْ	رِلْقَوْلِبَعْ	صُلْمَقْتِيْ
التفعيل	مستxعلن	مستxعلن	مستفعلx	مxتفعلن	مستفعلن	مستفعلx
	مُفْتَعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مَفْعُوْلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفْعُوْلُنْ
الزحاف	[مطوي]	[مطوي]	[مقطوع]	[مخبون]	[سالم]	[مقطوع]

(والأدب) الذي هو جمال العلم وزَيْنه **(النافع)** لأهله ولغيره هو **(حسن السمت)** بفتح السين وسكون الميم أي حسن الهيئة والوقار، فهذا ما عبر به شيخنا علي مصطفى يعقوب بقوله «ليّن الآداء» الذي لابد للعلماء من الاتصاف به. واعلم أن حسن السمت يكون في السكوت والسكون وليس في كثرة الكلام فإنها تزيل الأدب ولا يحسن الهيئة. ومفتاح ذلك الحياءُ من الله حق الحياء كما سيأتي إن شاء الله تعالى. وفي بعض النسخ «والأدب النافع حسن الصمت». **(وفي كثير القول)** والكلام بدون علم ولا أدب **(بعض المقت)** أي أنه ليس كل كثرة الكلام مقتا بل بعضه نفع وباقيه ضرر وأذى. فالكثرة مع العلم والأدب نفع وبدونهما ضرر وفساد. وفيه قوله ﷺ من كثر كلامه كثرت خطيئته.[١٠] ففي الصمت حسن السمت. واعلم أيها الطالب أن الصمت يحتاج إلى تعلم وتدرب. فالصمت غالبا يكون أشق وأصعب من الكلام. فقال الشيخ أبو الذيال: تعلّمْ الصمت كما تتعلم الكلام، فإن يكن الكلام يهديك فإن الصمت يقيك.[١١]

١٠ أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، رقم: ٨٤٢. وعند الطبراني بلفظ، «من كثر كلامه كثر سقطه» الطبراني، المعجم الأوسط، رقم: ٦٥٤١.

١١ ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ٥٥٠.

تنبيهان:

١. اعلم أن حسن السمت يحصل بحسن الحياء من الله تعالى، لا الحياء من غيره، فإن الحياء من غير الله تابع له. فقد قال رسول الله ﷺ فيما يرويه الإمام الترمذي عن سيدنا ابن مسعود: «استحيوا من الله حق الحياء.» قال: قلنا يا رسول الله إنا لنستحيي، والحمد لله. قال: «ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، وتحفظ البطن وما حوى، وتتذكر الموت والبِلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء.[١٢]

٢. واعلم أن الرأس وما وعاه من السَماع والبصر والكلام والفكر محلُّ الحياء حق الحياء. وكذا البطن وما حواه من القلب أو الصدر والشهوة أو الأعضاء التناسلية والفرج. فاحفظ ذلك كله من المحرمات والمكروهات والمشتبهات. فإن من حفظ ما بين لَحْيَيْه وهو لسانه وما بين رجليه وهو فرجه يضمن له رسول الله ﷺ الجنة. فقال ﷺ: مَنْ ضَمِنَ لي ما بينَ لَحْيَيْهِ ورجليهِ ضَمِنْتُ لهُ الجنَّة.[١٣] فمن فوائد تقديمه ﷺ اللسانَ لأنه أكثر الجوارح ذنوبا. والله تعالى أعلم وهو الهادي إلى سواء السبيل والموفق لما يحب ويرضى.

---

١٢ حديث حسن رواه الترمذي في سننه، رقم. ٢٤٥٨.

١٣ رواه البخاري رقم: ٦٤٧٤، والترمذي رقم: ٢٤٠٨، بلفظ: « من يتوكل لي ما بين لحييه وما بين رجليه أتوكل له بالجنة «، ورقم: ٢٤٠٩ بلفظ: « من وقاه الله شر ما بين لحييه، وشر ما بين رجليه دخل الجنة».

الأدب الثاني: حسن السمت طول الحياة

قال الناظم رحمه الله تعالى:

فَكُنْ لِحُسْنِ السَّمْتِ مَا حَيِيتَا ﴿١٤﴾ مُقَارِفًا تُحْمَدُ مَا بَقِيْتَا

التقطيع	فَ كُنْ لِحُسْ	نِسْ سَمْ تِمَا	حَيِيْ تَا	مُ قَارِفَنْ	تُحْ مَ دُمَا	بَقِيْ تَا
الترميز	o - - o - -	o - - o - o -	o - o - -	o - - o - -	o - - - o -	o - o - -
اللفظ	فَكُنْلِحُسْ	نِسْسَمْتِمَا	حَيِيْتَا	مُقَارِفَنْ	تُحْمَدُمَا	بَقِيْتَا
التفعيل	مفتعلن	مستفعلن	مُتَفْعِلْx	مفتعلن	مستxعلن	مُتَفْعِلْx
	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعُوْلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	فَعُوْلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[سالم]	[مكبل]	[مخبون]	[مطوي]	[مكبل]

(فكن) أيها الطالب والعالم ملازما مقارفا **(لحسن السمت)** والهيئة والوقار والأدب النافع **(ما حييت)** فإن حياتك لاتعنيك إلا بالعلم، ولله درّ القائل:

وموت الفتى خير له من حياته # بدار هوان بين واش وحاسد

والحياة بدون علم موت، فيقال فيه:

وذو الجهل ميت وهو يمشي على الثرا # يظن من الأحياء وهو عديم

وكذا الحياة بدون أدب فتنة عظيمة، فيقال في ذلك:

فساد كبير عالم متهتك # وأكبر منه جاهل متنسك

هما فتنة في العالمين عظيمة # لمن بهما في دينه يتمسك

والحاصل أن العلم والأدب هما حياتك وسلامتك في الدنيا والأخرى، فكن لهما **(مقارفا)** أي مرتكبا مكتسبا ما حييتَ، **(تحمد ما بقيت)** أي أن ذلك يجعلك محمودا أثنى عليك الناس ما بقيت، حتى وإن مِتَّ فتُحمد ما بقي ذكرك.

فائدتان:

١. فقد أخرج الإمام الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ» وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.[١٤] فمن ثم، كن حافظا للسانك، ممسكا له عما لا خير فيه من الكلام، وفقكم الله لكل خير.

٢. إمساك اللسان وحفظه من الرياضات النافعة في تهذيب النفس وإصلاح الأخلاق، فينبغي أن يعوّد به كلُّ واحد منا نفسَه بأن يقلل من الكلام.

تنبيه

لقد نبه الرسول ﷺ أن مِلاك الأمر كله اللسان. وإنه نظام الأمر وقوامه وخلاصته ومقصوده وعنصره الجوهري. وإنه بوّابة الخير كله. فقد أخرج الإمام الترمذي عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قُلتُ يَا رَسُولَ الله أَخبِرنِي بِعَمَلٍ يُدخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعدني مِن النار قَالَ: (لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيْمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيْرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لاَتُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيْمُ الصَّلاة، وَتُؤْتِي الزَّكَاة، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ.

ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيْئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الماءُ النَّارَ، وَصَلاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ تَلا:

---

١٤ أخرجه الإمام الترمذي في سننه، رقم: ٢٣١٤.

﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾،[١٥] ثُمَّ قَالَ: أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَارَسُولَ اللهِ، قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ وَذروَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ ثُمَّ قَالَ: أَلا أُخبِرُكَ بِملاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَارَسُولَ اللهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا.

قُلْتُ يَانَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَامُعَاذُ.

وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَو قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِمْ). حديث حسن صحيح.[١٦]

الأدب الثالث: عدم السروع إلى جواب مسألة مع تقديم الآخر الأعلم

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَإِنْ بَدَتْ بَيْنَ أُنَاسٍ مَسْأَلَةْ ﴿١٥﴾ مَعْرُوفَةٌ فِي الْعِلْمِ أَوْ مُفْتَعَلَةْ

التقطيع	وَ إِنْ بَدَتْ	بَيْ نَ أُنَا	سِنْ مَسْ أَلَهْ	مَعْ رُوْفَتُنْ	فِلْ عِلْ مِأَوْ	مُفْ تَ عَلَهْ
الترميز	o - - o - -	o - - - o -	o - - o - o -	o - - o - o -	o - - o - o -	o - - - o -
اللفظ	وَإِنْبَدَتْ	بَيْنَأُنَا	سِنْمَسْأَلَهْ	مَعْرُوْفَتُنْ	فِلْعِلْمِأَوْ	مُفْتَعَلَهْ
التفعيل	مxتفعلن	مستxعلن	مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن	مستxعلن
	مَفَاْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[مطوي]	[سالم]	[سالم]	[سالم]	[مطوي]

١٥ سورة السجدة: ١٦-١٧.

١٦ رواه الترمذي رقم: ٢٦١٦.

فَلَا تَكُنْ إِلَى الْجَوَابِ سَابِقًا ﴿١٦﴾ حَتَّى تَرَى غَيْرَكَ فِيهَا نَاطِقَا

التقطيع	فَ لَا تَكُنْ	إِ لَلْ جَوَا	بِي سَا بِقَا	حَتْ تَ تَرَا	غَيْ رَ كَفِي	هَانَاطِقَا
الترميز	٥--٥--	٥--٥--	٥--٥-٥-	٥---٥-	٥---٥-	٥--٥-٥-
اللفظ	فَلَاتَكُنْ	إِلَلْجَوَا	بِيسَابِقَا	حَتْتَتَرَا	غَيْرَكَفِي	هَانَاطِقَا
التفعيل	مxتفعلن	مxتفعلن	مستفعلن	مستxعلن	مستxعلن	مستفعلن
	مَفَاْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[مخبون]	[سالم]	[مطوي]	[مطوي]	[سالم]

(وإن بدت) أي ظهرت **(بين أُنَاسٍ)** أو منهم، وفي رواية «بين الناس»، والأول أنسب للوزن **(مسألةٌ)** أو قضية **(معروفةٌ)** عندهم حيث كانت المسألة عامة عندهم وعادة بينهم، فيسبق لها مثيل **(في العلم)** أي في الكتاب والسنة ويجوز أن يطلق على العلوم **(أو مفتعلة)** أي مبتدَعة مختلَقة متكلَّفة متصنَّعة جديدة غربية غير معروفة على غير مثال تَقدَّمه. وهي ضد الأول حيث لم يسبق لها مثيل. والمفتعل هو المبتدع، وهو غير المعروف، فإنك يا طالب العلم إذا رأيت مسألة معروفة أو مبتدعة **(فلا تكن)** جواب إنْ **(إلى الجواب سابقا)** بل ليُجِب من هو أعلم منك، ولا تتسرع إلى جواب مسألة إذا لم تُسأَل عنها، وإذا سُئلتَ عنها فحقق المسألة أولا و **(حتى ترى)** المغيّا بحتى يفيد أن الغاية –وهي الرؤية— داخلة في المغيّا —وهو جواب المسألة—. أي لا تكن إلى الجواب حتى تمّ أن ترى **(غيرك)** أي عالماً غيرَك **(فيها)** أي في تلك المسألة المعروفة أم المفتعلة **(ناطقا)** مجيبا عنها أو مبيّنا لها بيانا وافرا.

تنبيه:

اعلم أيها الطالب الأديب النجيب، إذا جاءك سائل ولم يقصدك بالخصوص في المسألة بل وعمّ بها جماعة من عنده فلا تبادرن بالجواب، ولا تسابق الجلساء، ولا تواثب بالكلام مواثبة. فإن ذلك يجمع من شَيْن أو عيب التكلف والخفة. فإنك إذا سبقت القوم إلى الكلام صاروا لكلامك خصماء فتعقبوه بالعيب والطعن. ولكن إذا لم تعجل بالجواب وتركته للقوم، عرضت أقاويلهم على عينك، ثم تدبرتها وفكرت في ما عندك، ثم هيأت من تفكيرك ومحاسن ما سمعت جواباً رضياً، ثم استدبرت به أقاويلهم حين تصيخ إليك الأسماع ويهدأ عنك الخصوم. وإن لم يبلغك الكلام حتى يُكتفى بغيرك، أو ينقطع الحديث قبل ذلك، فلا يكون من العيب عندك ولا من الغبن في نفسك فوت ما فاتك من الجواب. فإن صيانة القول خير من سوء وضعه، وإن كلمة واحدة من الصواب تصيب موضعها خير من مائة كلمة تقولها في غير فُرَصها ومواضعها. مع أن كلام العجلة والبدار موكلّ به الزلل وسوء التقدير، وإن ظن صاحبه أنه قد أنهى وأحكم.

العجلة وهي الجواب قبل الفهم وما ترتب منها

قال الناظم رحمه الله تعالى:

فَكَمْ رَأَيْتُ مِنْ عَجُولٍ سَابِقِ ﴿١٧﴾ مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ بِالْخَطَأِ نَاطِقِ

التقطيع	فَ كَمْ رَأَيْ	تُ مِنْ عَجُوْ	لِنْ سَا بِقِيْ	مِنْ غَيْ رِفَهْ	مِنْ بِلْ خَطَا	إِنَا طِقِيْ
الترميز	o - - o - -	o - - o - -	o - - o - o -	o - - o - o -	o - - o - o -	o - - o - -
اللفظ	فَكَمْرَأَيْ	تُمِنْعَجُوْ	لِنْسَابِقِيْ	مِنْغَيْرِفَهْ	مِنْبِلْخَطَا	إِنَاطِقِيْ
التفعيل	مفعولاتُ	مفاعلتن	مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن	مفعولاتُ
	مَفَاْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[مخبون]	[سالم]	[سالم]	[سالم]	[مخبون]

أَزْرَى بِهِ ذَلِكَ فِي الْمَجَالِسِ ﴿١٨﴾ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ وَالتَّنَافُسِ

التقطيع	أَزْ رَا بِهِيْ	ذَا لِ كَفِلْ	مَ جَا لِسِيْ	عِنْ دَذَوِلْ	أَلْ بَا بِوَتْ	تَ نَافُسِيْ
الترميز	o - - o - o -	o - - - o -	o - - o - -	o - - - o -	o - - o - o -	o - - o - -
اللفظ	أَزْرَابِهِيْ	ذَالِكَفِلْ	مَجَالِسِيْ	عِنْدَذَوِلْ	أَلْبَابِوَتْ	تَنَافُسِيْ
التفعيل	مستفعلن	مستعلن	مفاعلتن	مستعلن	مستفعلن	مفاعلتن
	مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ
الزحاف	[سالم]	[مطوي]	[مخبون]	[مطوي]	[سالم]	[مخبون]

(فكم رأيت) بتاء مضمومة للمتكلم، أي فكثيرا ما رأيت، ويجوز بالفتح للمخاطب **(من عجول)** أي كثير العجلة **(سابق)** لأوانه إلى الجواب، أي لم يحِنْ وقته للجواب، فأسرع إلى الجواب **(من غيرفهم)** و **(بالخطإ ناطق)** لعجلته وإسراعه إلى الجواب، مجرور معطوف على سابق.

(أزرى به ذلك) أي أزرى بذا العجولِ الناطقِ ذلك الإسراعُ. «أزرى» فعل رباعي لازم متعدي بحرف، وهو بمعنى ثرثر في كلامه، واستصغر له، واستخفّ به، وعَابَه. ويشتق منه ازدراء وهو الاحتقار والاستخفاف. ومعنى ذلك أن الرجل العجول تفاخر بكلامه الفارغ، فكان ثرثارا وتبجحا يحقّر نفسه ويهينها، وأن المسارعة إلى القول تقود فاعلها إلى الوقوع في الخطإ

فيكون ذلك مصيبة شديدة تَعيبُه **(في المجالس)** التي تزثر فيها كلامَه **(عند ذوي الألباب)** أي أمام العلماء والفقهاء ذوي النهى والأحلام **(والتنافس)** أي ذوى الرغبة، وهم أهل التنافس في الخير. والتنافس هو نزعةٌ فِطريةٌ تدعو إلى بذل الجهد في سبيل التشبّه بالعظماء واللُّحوق بهم. ا.هـ. لسان العرب وقاموس المحيط.

تنبيه:

عزيزي الطالب، اعلم أن الرجل العجول قتل نفسه بكلامه، فإنه لا يستخرجه للعلم ولا للحياة بل يستدرجه للجهل وللموت. وبالمناسبة يا عزيزي، أقول لك: اطمئن، انت لا لوحدك، بل معك غيرك، وأنت بين أيدي العلماء والفضلاء. فهذا التعجل صار مرضاً خطراً يحتاج إلى علاج نفسيّ وقلبيّ وفكريّ.

وانتبه يا أخي الطالب، أن العجلة تقتضي الندامة التي هي نوع من العذاب المستعجل في الدنيا، وهي عذاب للفطرة، فقال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾.[١٧] وقال النبي ﷺ: التَّأَنِّي مِنَ اللهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ.[١٨]

وروى الإمام الترمذي في سننه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «يَا عَلِيُّ، ثَلَاثٌ لَا تُؤَخِّرْهَا: الصَّلَاةُ إِذَا أَتَتْ، وَالجَنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ، وَالأَيِّمُ إِذَا وَجَدْتَ لَهَا كُفْئًا» فقال هذا حديث غريب، وما أرى إسناده بمتصل.[١٩]

وقال حاتم الأصم (ت: ٢٣٧ هـ): «كان العجلة من الشيطان إلا في خمسة إطعام الطعام اذا حضر الضيف وتجهيز الميت اذا مات وتزويج البكر اذا ادركت وقضاء الدين اذا وجب والتوبة من الذنب اذا أذنب».

---

١٧ سورة الأنبياء: ٣٧.

١٨ رواه البيهقي في شعب الإيمان رقم: ٤٠٥٨، وفي السنن الكبري، رقم: ٨١٧-٨١٩. وأبو يعلى في مسنده.

١٩ رواه الإمام الترمذي في سننه، رقم: ١٠٧٥.

الأدب الرابع: أن يقول لا أدري ويكون على علم بجهل النفس

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَقُلْ إِذَا أَعْيَاكَ ذَاكَ الْأَمْرُ ﴿١٩﴾ مَالِي بِمَا تَسْأَلُ عَنْهُ خُبْرُ

التقطيع	وَقُلْ إِذَا	أَغْ يَا كَذَا	كَلْ أَمْ رُوْ	مَالِيْ بِمَا	تَسْ ءَ لُعَنْ	هُ خُبْ رُوْ
الترميز	o - - o - -	- o - - o - o -	- o - o - o -	- o - - o - o -	- o - - - o -	- o - o - -
اللفظ	وَقُلْإِذَا	أَغْيَاكَذَا	كَلْأَمْرُوْ	مَالِيْبِمَا	تَسْءَلُعَنْ	هُخُبْرُوْ
التفعيل	مxتفعلن	مستفعلن	مستفعلx	مستفعلن	مستxعلن	مxتفعلx
	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفْعُولُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	فَعُوْلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[سالم]	[مقطوع]	[سالم]	[مطوي]	[مكبل]

(وقل) أيها الطالب الأديب **(إذا أعياك)** أي أعجزك حيث إذا أُلْقِي عليك أمر لا تفهمه أو إذا عجزت من الكلام فلم تتمكن من إظهار مرادك بالمسألة أو لم يتصور لديك **(ذاك الأمرُ)** الذي بدا بين الناس وذاك الأمر الذي سئلتَ عنه، مرفوع، فاعل. **(ما لي)** أي ليس عندي، ما نافية **(بما تسأل عنه) (خبر)** بضم الخاء وسكون الباء، مصدر خَبَرَ، وهو معرفة جيدة، كما في قوله تعالى: «وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا» أو العلم والإحاطة بحقيقة الأمر عن تجربة كما في قوله تعالى «كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا». وفي بعض النسخ بفتح الخاء والباء «خَبَرُ» ما يُنقَلُ ويُحدَّث به قولا أَو كِتابةً، وهذا هنا جائز في المعنى لكن غير مطابق للوزن. مرفوع مبتدأ مؤخر، أصله ما لي خُبْرٌ بما تسأل عنه. فهذا جواب عظيم صادر من الطالب العليم ومن العالم الحكيم حيث لا يقول شيئا إلا وهو محيط به وخبير، وإلا فقوله «لا أدري» أو «لا أعلم» أو «ما عندي خبر» وما في معناه

أحسن الجواب وأَصْدقُه وأسلمُه.

فائدة:

وقد نقل الإمام ابن عبد البر أن بعض العلماء قالوا: ليس معي من العلم إلا أني أعلم أني لست أعلم. وقال الإمام نفسه إن من آداب العالم ترك الدعوى لما لا يحسنه، وترك الفخر بما يحسنه، إلا أن يضطر إلى ذلك، كما اضطر يوسف عليه السلام حينما قال: ﴿اجْعَلْنِيْ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّيْ حَفِيْظٌ عَلِيْمٌ﴾[٢٠]. وذلك أنه لم يكن بحضرته من يعرف حقه فيثني عليه بما هو فيه ويعطيه بقسطه، ورأى أن ذلك المقعد لا يقعده غيره من أهل وقته إلا قصر عما يجب لله من القيام من حقوقه، فلم يسعه إلا السعي في ظهور الحق بما أمكنه، فيكون حينئذ يحدث بنعمة ربه عنده على وجه الشكر لها.[٢١]

الأدب الخامس: القول بالحكمة والاعتراف بعدم كمال العلم

قال الناظم رحمه الله تعالى:

فَذَاكَ شَطْرُالْعِلْمِ عِنْدَ الْعُلَمَا ﴿٢٠﴾ كَذَاكَ مَا زَالَتْ تَقُولُ الْحُكَمَا

التقطيع	فَ ذَا كَشَطْ	رُلْ عِلْ مِعِنْ	دَلْ عُ لَمَا	كَ ذَاكَمَا	زَا لَتْ تَقُوْ	لُلْ حُ كَمَا
الترميز	o - - o - -	o - - o - o -	o - - - o -	o - - o - -	o - - o - o -	o - - - o -
اللفظ	فَذَاكَشَطْ	رُلْعِلْمِعِنْ	دَلْعُلَمَا	كَذَاكَمَا	زَالَتْتَقُوْ	لُلْحُكَمَا
التفعيل	مفتعلن	مستفعلن	مستعلن	مفتعلن	مستفعلن	مستعلن
	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[سالم]	[مطوي]	[مخبون]	[سالم]	[مطوي]

٢٠ سورة يوسف: ٥٥.

٢١ ابن عبد البر، ١٧٤.

(فذاك) القول «لا أعلم» أو «لا أدري» أو «ما لي بما تسأل عنه خبر» أو ما في معناه **(شطر العلم)** أي نصفه **(عند العلماء)** جمع عليم، صيغة المبالغة لعالم، أي أن العليم هو العلّامة الكثير العلم، فمن ثم نعرف أن نصف علم العلماء قولهم لا أدري، فمعنى ذلك أن العالم العلاّمة لا يمكن أن يحيط بجميع فنون العلم، فكلما ازداد علمه في فن ازداد علمه بأنه لا يدري، فقول العالم «لا أدري» قمة الأدب ومنتهى الإحاطة بعلم. **(كذاك)** أيضا أي أن كلمة «لا أدري» **(ما زالت تقول)** أي يقولها دائما **(الحكماء)** جمع حكيم، وهو العالم الأديب. فلا تكن مثل الجاهل الذي يجهل أنه جاهل فأكثر من الكلام وأسرع في الجواب عن مسألة ليس له فيها نصيب، ويشعر بأنه عالم بها وخبير، فكثرة الكلام والتسرع إلى الجواب دون فهم من سيمات الجاهل المركب.

ومن ثم نعرف أن نصف العلمِ العلمُ بجهل النفس، لا العلم بجهل الغير. فمن لم يعرف جهل نفسه فهو جاهل مركب لأنه لا يدري أنه لا يدري، والذي يدري أنه لا يدري فهو متعلم مسترشد له حق الإرشاد. والعالم الحكيم الأديب هو المتواضع، حتى وإن كان عالما ويعلم أنه يعلم لكنه لا يسرع بالكلام ويكون دائما على علم بجهل نفسه وعدم كمال علمه.

فائدة:

إن العلم ينقسم إلى قسمين اثنين هما «علم أدري» و «علم لا أدري». وأحدهما نصف الآخر. فالعلم بين شيء يدرى وشيء لا يدرى. فالذي يدرى تكلم به صاحبه بما يعرفه، والذي لا يدرى يمسك عنه المسؤول فيقول: لا أدري. فالعالم إذا تكلم تكلم بالعلم وإذا أمسك عن الكلام أمسك بالعلم. والجاهل إذا تكلم تكلم بالهوى لا العلم، فلا يمسك عن الكلام ولو لم يعلم.

الأدب السادس:

التزين بالصمت وإن كان على علم وعدم القول إلا على علم متقن

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَالصَّمْتُ فَاعْلَمْ بِكَ حَقًّا أَزْيَنُ ﴿٢١﴾ إِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ عِلْمٌ مُتْقَنُ

التقطيع	وَصْ صَمْ تُفَعْ	لَمْ بِ كَحَقْ	قَنْ أَزْ يَنُوْ	إِنْ لَمْ يَكُنْ	عِنْ دَ كَعِلْ	مُنْ مُتْ قَنُوْ
الترميز	o - - o - o -	o - - - o -	o - - o - o -	o - - o - o -	o - - - o -	o - - o - o -
اللفظ	وَصْصَمْتُفَعْ	لَمْبِكَحَقْ	قَنْأَزْيَنُوْ	إِنْلَمْيَكُنْ	عِنْدَكَعِلْ	مُنْمُتْقَنُوْ
التفعيل	مستفعلن	مستxعلن	مستفعلن	مستفعلن	مستxعلن	مستفعلن
	مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ
الزحاف	[سالم]	[مطوي]	[سالم]	[سالم]	[مطوي]	[سالم]

(والصمت) أي السكوت وعدم الإسراع إلى الجواب **(فاعلم)** أيها الطالب أنه **(بك)** الجار والمجرور متعلق بما بعده «أزين» فيتقدم ليطابق الوزن والقافية. **(حقا)** مفعول مطلق، منصوب، أي فاعلم حق العلم أن الصمت **(أزين)** أي أحسن وأجمل **(إن لم يكن عندك علم متقن)** بفتح القاف، وهو علم راسخ، فيفهم من ذلك أن العالم إذا علم بحقيقة المسألة وبعد التحقيق من البحث والفهم والمذاكرة والدرس والفكرة والمناظرة كان حقا له أن لا يصمت، بل كان لازما عليه من الكلام المطابق للحال.

وفي هذا البيت فائدة أن الصمت كان حقا على من لم يكن لديه علم متقن. فأما الذي له علم متقن فله الكلام بالخير لقوله ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت (رواه البخاري ومسلم) فيقدم

الكلام بالخير على الصمت، فتقييد الكلام بالخير دليل على شرط تقديم الكلام، فما لم يوفر فيه هذا الشرط فالكلام محظور والصمت أزين.

فوائد:

١. فالصمت عند بدوّ القول في مسائل العلم أزين بأهله إن لم يكن عند المتكلم علم راسخ.

٢. فقال الإمام ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) ما نصه، الكلام بالخير غنيمة وهو أفضل من السكوت لأن أرفع ما في السكوت السلامة، والكلام بالخير غنيمة.[٢٢] ويفهم منه أن المتكلم المجتهد الغانم أولى لأنه يجمع الغنيمة والسلامة وأما الساكت القاعد فله السلامة فقط لا الغنيمة.

٣. وقال الإمام أيضا إن الكلام في العلم من أفضل الأعمال وهو يجري عندهم مجرى الذكر والتلاوة إذا أريد به ووجهُ الله ثم نفي الجهل عز وجل والوقوفُ على حقيقة المعاني.

٤. وقال سيدنا قتادة إنه مكتوب في الحكمة: طوبى لعالم ناطق أو لباغ مستمع.[٢٣]

٥. وعن الشيخين إبراهيم بن أدهم ومحمد بن عجلان قالا: ما من شيء أشد على الشيطان من عالم حليم، إن تكلم تكلم بعلم، وإن سكت سكت بحلم ، فيقول الشيطان: انظروا إليه، كلامه أشد علي من سكوته.[٢٤]

---

٢٢ ابن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، ص. ١٦٦.

٢٣ ابن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، ص. ١٦٧

٢٤ ابن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، ص. ١٥١.

الأدب السابع: التواضع والحذر من العجب ومن التقصير في الجواب

قال الناظم رحمه الله تعالى:

إِيَّاكَ وَالْعُجْبَ بِفَضْلِ رَأْيِكَا ﴿٢٢﴾ وَاحْذَرْجَوَابَ الْقَوْلِ مِنْ خَطَائِكَا

التقطيع	إِيْ يَا كَوَلْ	عُجْ بَ بِفَضْ	لِرَأْ يِكَا	وَحْ ذَرْ جَوَا	بَلْ قَوْ لِمِنْ	خَطَائِكَا
الترميز	o - - o - o -	o - - - o -	o - - o - -	o - - o - o -	o - - o - o -	o - - o - -
اللفظ	إِيَاكَوَلْ	عُجْبَبِفَضْ	لِرَأْيِكَا	وَحْذَرْجَوَا	بَلْقَوْلِمِنْ	خَطَائِكَا
التفعيل	مستفعلن	مستxعلن	مxتفعلن	مستفعلن	مستفعلن	مxتفعلن
	مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ
الزحاف	[سالم]	[مطوي]	[مخبون]	[سالم]	[سالم]	[مخبون]

(إياك) أي احذر كل الحذر **(والعجب)** وهو الزهو بالنفس، والنظر إليها بعين الإجلال والتعظيم، واستعظام الأعمال والركون إليها، وإضافتها إلى النفس مع نسيان إضافتها إلى المُنعِم سبحانه وتعالى، وقال ﷺ: «ثلاث مهلكات: شحٌّ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»[٢٥]، وكذلك قال النبي ﷺ: «بينما رجل يمشي في حلةٍ تعجبه نفسه، مرجل جمته، إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة»[٢٦]، وفي رواية مسلم: «فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة».[٢٧] قال ابن مسعود رضي الله عنه: «الهلاك في اثنين: القنوط والعجب".[٢٨] وقال مطرف: «لأن

٢٥ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: ٧٣١. والطبراني في الأوسط، رقم: ٥٤٥٢، ٥٧٥٤.
٢٦ أخرجه البخاري في صحيحه رقم: ٥٧٨٩.
٢٧ أخرجه مسلم في صحيحه رقم: ٢٠٨٨.
٢٨ الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين/ كتاب ذم الكبر والعجب، ٣٦٩/٣.

أبيت نائماً وأصبح نادماً أحب إليّ من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً.»[٢٩] والعجب جزء من أجزاء الشرك الأصغر مثل الرياء والكبر. فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس، وكلاهما حال المستكبر. وإذا كنت على ذلك الحال فاعلم أنك محجوب عن الشكر بل مستكبر ومعجب **(بفضل رأيك)** أي بما فضل الله لك من الرأي الممتاز أو الزائد على غيرك أو الغالب على رأيه **(واحذر)** كل الحذر **(جواب القول)** الصادر **(من خطئك)** وفيه قول النبي ﷺ «من كثر كلامه كثرت خطيئته»[٣٠] وقال الشيخ يزيد بن أبي حبيب إن فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع.[٣١]

فوائد:

١. بليّتان تنكنفان المتكلم في العلم هما: العجب وابتداء القول بشيء لم يتكلم به أحد قبله فيكون القول من مبتكرات خياله ومبتدعات أفكاره.

٢. قال الإمام ابن عبد البر ومن أفضل آداب العالم تواضعه وترك الإعجاب بعلمه ونبذ حب الرئاسة عنه.[٣٢] فقال النبي ﷺ إن التواضع لايزيد العبد إلا رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله.[٣٣]

٣. قال بعض الحكماء: المتواضع من طلاب العلم أكثر علما كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماءا.[٣٤] وعن مسروق قال: كفى بالمرء

---

٢٩ الزهد للإمام أحمد رقم: ١٣٤٢، ١٣٥٦، وشرح السنة للإمام البغوي، ٣٤١/١٤، وحلية الأولياء للإمام أبي نعيم الأصبهاني، ٢١/٢.

٣٠ أخرجه ابن المبارك في كتاب الزهد رقم: ٨٤٢، والطبراني في الأوسط رقم: ٦٥٤١ بلفظ «من كثر خطؤه كثر سقطه»، والقضاعي في مسند الشهاب رقم: ٣٧٢.

٣١ الإمام ابن المبارك، كتاب الزهد والرقائق، رقم: ٤٨.

٣٢ ابن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، ١٧٠.

٣٣ أخرجه ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، رقم: ٢٣٧. وابن عبد البر في جامع بيان العلم، ٥٦٢.

٣٤ ابن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، ١٧٠

علما أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمه.[٣٥] وقال سيدنا أبو الدرداء: علامة الجهل ثلاث: العجب وكثرة المنطق فيما لا يعنيه وأن ينهى عن شيء ويأتيه.[٣٦] وقال سيدنا علي بن أبي طالب: الإعجاب آفة الألباب. وقال غيره: إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله.[٣٧]

٤. واعلم يا أخي الطالب أنه كان يقال: لا يكون الرجل عالما حتى تكون فيه ثلاث خصال: لا يحقر من دونه في العلم، ولا يحسد من فوقه في العلم، ولا يأخذ علمه ثمنا.[٣٨] فأحيانًا ما لا نجده في قاع البحر الشاسع العميق نجده على سطح الأنهار الضحلة. فالتمس العلم وأجمل في الطلب. فإن العلم والحكمة ضالة المؤمن. فقد تجدها عند من هو دونك في السن أو في العلم. فلا تعجب بنفسك، إذن!

٥. فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن سيدنا عمَر بن الخطّاب رضي الله عنه في قصّة أسارى بدر.وكانوا سبعين رجلاً من المشركين، أنّهم: (لَمّا أَسَرُوا الأُسارى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر، وعمر: (ما ترون في هؤلاء الأُسارى؟) فقال أبو بكر: يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فديةً، فتكونُ لنا قوةً على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله ﷺ: (ما ترى يا ابن الخطاب؟) قلت: لا، والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تُمكّنّا فنضربَ أعناقهم ... فهَوِيَ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلتُ، فلما كان من الغد جئتُ، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعِدَين يبكيان، قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟

---

٣٥ ابن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، ١٧٢
٣٦ ابن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، ١٧٢
٣٧ ابن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، ١٧٢
٣٨ ابن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، ١٥٧

فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ، وإن لم أجد بكاءً تباكيتُ لبكائكما. فقال رسول الله ﷺ: (أبكي للذي عَرض عليّ أصحابُك من أخذِهم الفداء، لقد عُرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة، شجرةٍ قريبة من نبي الله ﷺ، وأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣٩]. [٤٠]

فما أروعه من مثَل، وياِلحُسنِها من تربية! هذا نبيّ الرحمة، وصِدّيق هذه الأمّة، يبكيان، ويعلّمان الدعاة والعلماء، أدباً رفيعاً من آداب الدعاة، في الرجوع إلى الحق، و التمسك به، وكانا لا يستحييان من الحق شيئا. والنبي ﷺ وإن نزل عليه وحي فلا يمنع ذلك من استشارة أصحابه. بل فأقرّ النبي ﷺ أن الصواب لأخيه عمر حينما أُرِي له ما هو صواب، وكذا لا يَعجَب عمر من رأيه حينما أصاب ووافق عليه الوحي. وهكذا كان أصحابه رضوان الله عليهم من بعده، يلتمسون سبل الهدى، وينْصاعون إلى الحق، و يعرضون عمّا يخالفه، ولا يجد الواحد منهم غضاضةً في الرجوع عن رأيه، وقبول الحقّ ممّن جاء به، كائناً من كان. وهم المتواصون بالحقّ، المتواصون بالصبر.

تنبيهان:

١. ليس التواضع ما تخفي وتخبئ به مَناقصك وتقاصيرك، بل هو تكبر حقا، وإنما التواضع أن تخفي وتخبئ ميزاتك وخصائصك وفضولك ومحامدك ومآثرك.

٢. الطالب الأديب إذا تكلم تكلم بقول الآخر الأعلم ناقلا عنه أو متمسكا به لا بكلام من عند نفسه، لأن ذلك يورث العجب. فاجهد لنفسك

---

٣٩ سورة الأنفال: ٦٧

٤٠ أخرجه مسلم في صحيحه رقم: ١٧٦٣.

أن يكون لكلامك أصل ضابط ممن هو معتمد بقوله من أهل العلم.

الأداب الثامن: اغتنام الصمت

قال الناظم رحمه الله تعالى:

كَمْ مِنْ جَوَابٍ أَعْقَبَ النَّدَامَهْ ﴿٢٣﴾ فَاغْتَنِمِ الصَّمْتَ مَعَ السَّلَامَهْ

التقطيع	كَمْ مِنْ جَوَا	بِنْ أَعْ قَبَنْ	نَدَا مَهْ	فَغْ تَ نِمِصْ	صَمْ تَ مَعَسْ	سَلَامَهْ
الترميز	o - - o - o -	o - - o - o -	o - o - -	o - - - o -	o - - - o -	o - o - -
اللفظ	كَمْمِنْجَوَا	بِنْأَعْقَبَنْ	نَدَامَهْ	فَغْتَنِمِصْ	صَمْتَمَعَسْ	سَلَامَهْ
التفعيل	مستفعلن	مستفعلن	مفتعلنx	مستعلنx	مستعلنx	مفتعلنx
	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعُوْلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	فَعُوْلُنْ
الزحاف	[سالم]	[سالم]	[مكبل]	[مطوي]	[مطوي]	[مكبل]

وبما أن الشارع الحكيم نهانا وحذّرنا من العجب بفضل الرأي ومن الإسراع إلى الجواب عن مسألة فاعلم أنه **(كم من جواب)** أي ما أكثر جوابا عن مسألة وإن كان مبنيا على أدلة صحيحة وحجة قوية واستدلال سليم فإنه إذا لم يعرض على عالم آخر ولم يُذاكَر عليه فإنه **(أعقب الندامة)** على صاحبه وعلى غيره، لثبوت خطئه وبطلانه بعدُ. ولذلك، وإن كنت حافظا بذاكرتك وقادرا على إيراد النص لفظيا، لكن إذا لم يكن قلبك حافظا **(فاغتنم)** واتخذ **(الصمت)** أي فرصتك للسكوت والسكون، تكن أنت **(مع السلامة)** فإن سلامة المرء في حفظ اللسان، واحفظ قول الناظم الحكيم: يموت الفتى من عثرة من لسانه *

وليس يموت المرء من عثرة الرجل، فعثرته من فيه ترمي برأسه * وعثرته بالرجل تبرى على المهل.

فائدة:

اعلم أن من الصمت الاستماع ففي الاستماع سلامة وزيادة العلم، والمستمع شريك المتكلم،[٤١] إذ لا فائدة في الكلام ما لم يكن به مستمع. وفيه قول النبي ﷺ فيما رواه الإمام الترمذي وأحمد والدارمي «من صمت نجا».[٤٢] وقوله «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»[٤٣] فالصمت إيمان كما أن القول بالخير إيمان.

وروى الأئمة المحدثون ابن ماجة وأبو داود وابن حبّان وغيرهم بإسناد حسن عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (من أُفتِيَ بغير علم كان إثمه على من أفتاه، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه)[٤٤] فقال الإمام المباركفوري: هذا إذا لم يكن الخطأ في محل الاجتهاد أو كان إلا أنه وقع لعدم بلوغه في الاجتهاد حقه.[٤٥]

---

٤١ الإمام ابن المبارك، كتاب الزهد والرقائق، رقم: ٤٨.

٤٢ أخرجه الترمذي في سننه رقم: ٢٥٠١، وأحمد في مسنده رقم: ٦٤٨١، والدارمي في سننه رقم: ٢٧٥٥.

٤٣ أخرجه البخاري في صحيحه رقم: ٦٠١٨، ومسلم في صحيحه رقم: ٤٧.

٤٤ أخرجه أبو داود في سننه رقم: ٣٦٥٧، وابن ماجة في سننه رقم: ٥٣، بلفظ « من أفتي بفتيا غير ثبت، فإنما إثمه على من أفتاه»، وغيرهما.

٤٥ المباركفوري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣٣٧/١. في شرح حديث رقم: ٢٤٤، «عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أفتي بغير علم كان إثمه على من أفتاه، ومن أشارة على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه)) رواه أبو داود.»

الأدب التاسع: التعرف على حدود العلم ولا حد له

قال الناظم رحمه الله تعالى:

الْعِلْمُ بَحْرٌ مُنْتَهَاهُ يَبْعُدُ ﴿٢٤﴾ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ إِلَيْهِ يُقْصَدُ

التقطيع	أَلْ عِلْ مُبَحْ	رُنْ مُنْ تَهَا	هُيَبْ عُدُوْ	لَيْ سَ لَهُوْ	حَدْ دُنْ إِلَي	هِيُقْ صَدُوْ
الترميز	٥-٥-٥-٥-	٥-٥-٥-٥-	٥-٥-٥-	٥-٥-٥-	٥-٥-٥-٥-	٥-٥-٥-
اللفظ	أَلْعِلْمُبَحْ	رُنْمُنْتَهَا	هُيَبْعُدُوْ	لَيْسَلَهُوْ	حَدْدُنْإِلَيْ	هِيُقْصَدُوْ
التفعيل	مستفعلن	مستفعلن	مفعولات	مستفعلن	مستفعلن	مفعولات
	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ
الزحاف	[سالم]	[سالم]	[مخبون]	[مطوي]	[سالم]	[مخبون]

واعلم أيها الطالب فتأمل هذا المثل العظيم وهو **(العلم بحر)** تشبيه بليغ **(منتهاه يبعد)** لا ساحل له ولا منتهى له، فانتهاء البحر انتهاء بعد بصرك، فمدى مددت عينيك في البحر فذاك علمك، لكن العلم أكثر وأكبر وأوسع وأدق وأبعد مما تناوله بصرك. ويراد بذلك أن ما لم يدركه بصرك أكثر، وإذا ادعيت بواسع العلم أوبالإحاطة بجميع العلم فقد كذبت، وإذا أطلق أن لكل فن من فنون العلم حدا فإنما هو حد الفن لا حد العلم، وهما متباينان تاما، فحدود الفن تتواصل مع حددود فن آخر. ووجه الشبه بين العلم والبحر أنه **(ليس له)** أي للبحر وكذا للعلم **(حد)** أي خط **(إليه يقصد)** أي ينتهي إليه البصر، فكلما قصد الطالب انتهاء حدود العلم عاد إلى بدايتها، فلن يدركه ولن يأتي إليه بل ولم يزل في بحور العلم.

فوائد:

١. العلم بحر، والعلم نور، والعلم ماء وحياة، وكلّما شربت منهُ شعرت بالظمأ. وهو خير من المال وأنفع منه. لأن العلم لا ينتهى ولا يزول، ويرفع صاحبه إلى أعلى الدرجات. وكلما أخرج العلم زاد ولاينتقص منه شيء، بخلاف المال فإنه كلما أخرج انتهى وزال إلا إذا أخرج في سبيل الله تعالى فإنه نما وزكا.

٢. وقال الإمام ابن عبد البر: إذا أردت أن تكون عالما فاقصد لفن من العلم، وإذا أردت أن تكون أديبا فخذ من كل شيء أحسنه.[٤٦] واعلم أن حدود فن من فنون العلم تشبه حدود بلد في وسط البحر، تتدفق مياه البحر ومحتوياتها حرا يمكن تقييده بحد، على الرغم من أن الصيادين قد يكونون مقيَّدين بالمناطق الاقتصادية الخاصة لإقليم الدولة. فلا يوجد حد مطلق لعلوم القرآن ولا لعلوم الحديث ولا لعلوم أخرى حيث لا يجوز لغير أهلها أن يدخل فيه. بل يستحب لأهل القرآن أن يسبح أيضا في بحور علوم الكيمياء والطب والفيزياء والرياضيات والسوسيولوجيا والأنثروبولوجيا وغيرها كما أن أهل تلك العلوم له حق للسباحة في علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والتصوف والسيرة النبوية وغيرها. سواء كان ذلك يعتمد على مفهوم تكامل العلوم، أوالترابط بين العلوم، فإن ذلك على مبدإ وحدة العلوم.

٣. العلمُ بحرٌ واسعٌ عميقٌ لا يستطيعُ أيُّ طالبِ علمٍ أن يجتازَ كلَّ هذا البحرِ العميقِ. ونحن طلابَ العلم قد نجدّ ونجتهدُ كي نصلَ إلى مكانةٍ من العلم، وقد نكون له شأنٌ في هذا العلم الذي نتعلّمُه، ونكونُ حاصلين على شهادة الدكتوراة أو الأستاذية مثلا وهي أعلى شهادات

٤٦ ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ١٥٦.

العلم الأكاديمي، فكل ذلك قد يجعلنا نحسب أننا اجتزْنا هذا البحرَ بسلاسةٍ وهدوءٍ، لكننا في الحقيقة ما زلنا على الشاطئِ في بدايةِ البحر.

ولكن مع ذلك أيها الطالب، يجب أن نحاول بقدر الاستطاعةِ الوصول إلى عمقٍ معينٍ من البحر، وكلٌ على حسب طاقته ومواهبه، ثم نستريح على جزيرة أو أي شيء، وبعدها نحاول أن نقطع مسافاتٍ قد لا يصل إليها غيرُنا. من هنا يجب علينا أن نعلم ونعرف أن العلم لا نستطيع تحصيل فروعه كاملة، لذا لابد لنا من أن نتبحر في هذا البحر إلى أن نصل قدر الإمكان لمكانةٍ من العلم والمعرفة، وأما التبحّر في العلوم كلها كاملة فمستحيل؛ لأن العلم بحرٌ وتتفرع منه بحور مُختلفة في كل المجالات. فمهما وصلنا، فما زال البحرُ يتّسع أمامنا. فحق ممن قال منشدا: وكن مستفيدا كل يوم زيادة * من العلم واسبح في بجور الفوائد.

٤. والعلم حقًا لا يُشبع منه؛ فمثله كمثل الطعام، فإن العلم غذاءُ الروح، والطعام غذاءُ الجسدِ. فالبطن قد يشبع ولكنه يطلب الأكل دائما كل يوم، وكذا الروح فإنه لا يشبع من العلم ويريد الزيادة الدائمة.

٥. ولذلك يحتاج في طلبه ما لا ينتهى من الوقت، بل طلب العلم من المهد إلى اللحد، فنحن إذن طلاب العلم إلى يوم القيامة. هكذا علّمنا شيخنا علي مصطفى.

٦. وذلك كله مصداق قوله ﷺ: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ).[٤٧]

٤٧ أخرجه أبو داود في سننه رقم: ٣٦٤١. وأخرجه الترمذي في سننه رقم: ٢٦٤٦.

الأدب العاشر: التعرف على قدر المعلوم

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَلَيْسَ كُلُّ الْعِلْمِ قَدْ حَوَيْتَهُ ﴿٢٥﴾ أَجَلْ وَلَا الْعُشْرَ وَلَوْ أَحْصَيْتَهُ

التقطيع	وَ لَيْ سَ كُلْ	لَلْ عِلْ مِقَدْ	حَ وَيْ تَهُوْ	ءَجَلْ وَلَلْ	عُشْ رَ وَلَوْ	أَحْ صَيْ تَهُوْ
الترميز	o--o--	o--o-o-	o--o--	o--o--	o---o-	o--o-o-
اللفظ	وَلَيْسَكُلْ	لَلْعِلْمِقَدْ	حَوَيْتَهُوْ	ءَجَلْوَلَلْ	عُشْرَوَلَوْ	أَحْصَيْتَهُوْ
التفعيل	مفعولن	مستفعلن	مفعولن	مفعولن	مستفعلن	مستفعلن
	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[سالم]	[مخبون]	[مخبون]	[مطوي]	[سالم]

(وليس كلّ العلم) على وجهين الرفعِ والنصب. يرفع على كونه اسم ليس وما بعده من الجملة خبر، وينصب على كونه خبر ليس، وأما اسمها فمُضمَر مستتر وجوبا تقديره «هو» راجع إلى العلم الذي شبه بالبحر، وهو بيان لما ليس له حد، أي فإن العلم مثل البحر من حيث عدم الحد، وكذا أن هذا العلم ليس كلَّ العلم الذي **(قد حويته)** أي جمعته واستوليت عليه وملكتَه وأحرزته. نبّه الناظم الأديب علة النهي عن الادعاء بعلم وعن العجب بالرأي وعن التسرع إلى الجواب وعلة الأمر باغتنام الصمت على أن العلم ليس كلَّ ما حواه العالم، بل العالم لا يحوي العلم إلا القليل جدا، **(أجل،)** أي نعم، وهو حرف جواب يكون للتأكيد إذا وقع في صدر الكلام، وله معان، منها تصديق للمخبر، وإعلان للمستخبِر، ووعد للطالب، **(ولا العشر)** أي لا يبلغ عُشر العلم **(ولو أحصيته)** لوجدت ذلك أقل من العشر. ولو اجتهدت في إحصائه فلن

تجمعه كله ولا عشره، فإن القوى البشرية تتناقص عن ذلك. وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾.[٤٨] والله تعالى أعلم.

واعلم أن من سيمات العلم البحر أن تعتقد أنك تعرف أقل، ومن علامات الجهل أن تعتقد أنك تعرف أكثر. فمهما بلغتَ من العلم في مجالك، فلست إلا طالبا مبتدئا في معظم المجالات الأخرى. وهذا ينطبق على القاعدة «أنه كلما زاد علمك وتعمقت في تخصصك اكتشف لك أنك تجهل الكثير.» وبداية النهاية أن تعتقد انك قد أحطت بكل شيء علما.

فقلنا لكم أيها الشباب الطلاب إنه في كل مرة انتهينا من قراءة كتاب، نكتشف من جديد أننا غارقون في بحر من الجهل. وهذا مصداق تلك الآية السالفة.

الأدب الحادي عشر: التعرف على المجهولات فإن العلاّمة قد يخطئ

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَمَا بَقِيْ عَلَيْكَ مِنْهُ أَكْثَرُ ﴿٢٦﴾ مِمَّا عَلِمْتَ وَالْجَوَادُ يَعْثُرُ

التقطيع	وَ مَا بَقِيْ	عَ لَيْ كَمِنْ	هُ أَكْ ثَرُوْ	مِمْ مَاعَلِمْ	تَ وَلْ جَوَا	دُيَعْ ثُرُوْ
الترميز	o - - o - -	o - - o - -	o - - o - -	o - - o - o -	o - - o - -	o - - o - -
اللفظ	وَمَابَقِيْ	عَلَيْكَمِنْ	هُأَكْثَرُوْ	مِمَّاعَلِمْ	تَوَلْجَوَا	دُيَعْثُرُوْ
التفعيل	مxتفعلن	مxتفعلن	مxتفعلن	مستفعلن	مxتفعلن	مxتفعلن
	مَفَاْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[مخبون]	[مخبون]	[سالم]	[مخبون]	[مخبون]

٤٨ سورة الكهف: ١٠٩.

(وما بقي) أي ما فَضَل **(عليك)** أيها الطالب **(منه)** أي من العلم الذي لا حد له ولا نهاية. ويراد بذلك أنه لما كان العلم الذي أحطت به أقل من العشر، فالباقي الذي لم تحط به **(أكثر)** مرفوع خبر المبتدإ **(مما علمت)** أي من علم يكون في عندك وادعيت به، فإن ما علمت ليس كل العلم حتى وإن بعُد جدا مدّ بصرك وتبحر مداد علمك **(والجواد)** أي النجيب من الخيل وهو السريع الجري، جمعه جياد **(يعثر)** أي يزلّ ويكْبو ويسقط على وجهه.

وقاس الناظم رحمه الله تعالى العالم على الجواد، فالعالم النجيب المتكلم مثل الخيل النجيب، فإن الخيل وإن كان سريع المجري فإنه قد يسقط. وقوله الجواد يعثر مثل عربي، كان معناه يقارب المثل الإندونيسي «وبقدر الذكاء الذي يقفز به السنجاب، فإنه يسقط في حين».

وبه حكى إمام القراءة الكسائي رحمه الله، قال: صليت بهارون الرشيد، فأعجبتني قراءتي، فغلطت في آية ما أخطأ فيها صبي قط، أردت أن أقول: «لعلهم يرجعون» فقلت: "لعلهم يرجعين» قال: فوالله ما اجترأ هارون أن يقول لي: أخطأت، ولكنه لما سلمت قال لي: يا كسائي! أي لغة هذه؟ قلت: يا أمير المؤمنين! قد يعثر الجواد، فقال: أما هذا فنعم. فبعد ما ساق هذه الحكاية، قال الإمام الذهبي: من وعى عقله هذا الكلام علم أن العالم مهما علا كعبه، وبرَّز في العلم، إلا أنه لا يسلم من أخطاء وزلات، لا تقدح في علمه، ولا تحط من قدره، ولا تنقص منزلته. ومن حمل أخطاء أهل العلم والفضل على هذا السبيل حمدت طريقته، وشكر مسلكه، ووفق للصواب.[٤٩]

٤٩ الإمام الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥٥٤/٧.

فائدة:

هذا البيت مصداق قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾،[٥٠] وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.[٥١] فالإنسان وإن تبحّر علمه فأصبح عليما فإنه في الحقيقة جهول ليس له إلا القليل جدا من علم الله تعالى. فكيف لا، وهو لا يعلم معنى قوله تعالى: الم، كهيعص، يس، طه، ن، ق. هذه أحرف لها معان أكبر من المعاني التي أحاط بها الحافظ الراسخ العليم المفسر المؤول، ولكنه لا يعلم، فيقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾[٥٢] ويقول ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.[٥٣] فلنكن نحن أولي الألباب لا مجرد أولي العلم.

وروي عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: (ثلاث يهدمْنَ الدين: زَلَّة العالم، وجدال المنافق بالقرآن، وأئمة مضلون)،[٥٤] رواه الدارمي في سننه عن زياد بن حدير.

ورويَ أيضا عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قوله: (ويل للأتباع من عثرات العالم). قيل: وكيف ذاك؟ قال: (يقول العالم شيئاً برأيه ثم يجد من هو أعلم منه برسول الله ﷺ فيترك قوله ذلك، ثم يمضي الاتباع).[٥٥] فقال الإمام الشاطبي في ذلك أن العلماء شبهوا زلة العالم بكسر السفينة؛ لأنها إذا غرقت غرق معها خلق كثير.[٥٦] فقال:

---

٥٠ سورة الإسراء: ٨٥.

٥١ سورة الأحزاب: ٧٢.

٥٢ سورة آل عمران: ٧.

٥٣ سورة آل عمران: ٧.

٥٤ رواه الدارمي في سننه رقم: ٢٢٠، بلفظ «عن زياد بن حدير، قال: قال لي عمر: «هل تعرف ما يهدم الإسلام؟» قال: قلت: لا، قال: «يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين»».

٥٥ رواه الإمام ابن عبد البر في الجامع، ١٨٧٧، والإمام البيهقي في المدخل ٨٣٥، والإمام الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ١٤/٢.

٥٦ وقول الإمام الشاطبي هذا منقول من كلام ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله»

فهذه الأمور حقيق أن تهدم الدين.[٥٧]

وعند الإمام الدارمي عن محمد بن واسع قال: كان مسلم بن يسار يقول: (إياكم والمراء فإنها ساعة جهل العالم وبها يبتغي الشيطان زلته).[٥٨]

الأدب الثاني عشر: ترك الخجل من الاستفهام

قال الناظم رحمه الله تعالى:

فَكُنْ لِمَا سَمِعْتَهُ مُسْتَفْهِمَا ﴿٢٧﴾ إِنْ أَنْتَ لَا تَفْهَمُ مِنْهُ الْكَلِمَا

التقطيع	فَ كُنْ لِمَا	سَ مِعْ تَهُوْ	مُسْ تَفْ هِمَا	إِنْ أَنْ تَلَا	تَفْ هَ مُنِ	هُلْ كَ لِمَا
الترميز	o - - o - -	o - - o - -	o - - o - o -	o - - o - o -	o - - - o -	o - - - o -
اللفظ	فَكُنْلِمَا	سَمِعْتَهُوْ	مُسْتَفْهِمَا	إِنْأَنْتَلَا	تَفْهَمُنِ	هُلْكَلِمَا
التفعيل	مفتعلن	مفتعلن	مستفعلن	مستفعلن	مستعلن	مستعلن
	مَفَاْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[مخبون]	[سالم]	[سالم]	[مطوي]	[مطوي]

(فكن) أيها الطالب، والفاء جواب للشرط المؤخر **(لما سمعته)** من الكلام والعلوم والفوائد والمسائل والأخبار وغير ذلك من المسموعات **(مستفهما)** أي مستفسرا أو سائلا وطالبا للفهم حتى لا تسيء الفهم ولا تخطئ في الجواب عن مسألة أو الوقوف على الأخبار أو الرد عليها، منصوب خبر كان. **(إن أنت)** جملة شرطية مؤخرة وجوابه مقدم كما مر **(لا تفهم**

«٢/ ٩٨٢».

٥٧ الإمام الشاطبي، الموافقات، ٤/ ٩٠.

٥٨ أخرجه الدارمي في سننه رقم: ٤١٠. وأبو نعيم في حلية الأولياء، ٢/ ٢٩٤.

منه) أي من ما سمعته **(الكلما)** أي الكلمة فتحوَّل التاء ألفا لتناسب ما قبله، وتقدير ذلك أنك أيها الطالب إن لم تفهم كلمة مما سمعته فكن مستفهما ولا تسكت، فإن السكوت فيها غير مطلوب، وهي غير محل للسكوت.

واعلم أن السؤال أنواع، منها سؤال استفهام، وسؤال تبيُّن، وسؤال امتحان، وذلك مندوب في التعلم، ومنها وسؤال استجواب، وهذا مكروه إلا للكشف عن الحقائق الغامضة، ومنها سؤال فضولي وهذا مكروه، ومنها سؤال إنكاري وجحد وتعنت وغير ذلك، ومنها سؤال توبيخ، ولكل مقام وحكم.

فقال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.[٥٩] فإننا طلابَ العلم مأمورون بالاستفهام أهلَ الذكر إن كنا لا نعلم ولا نفهم. فسؤالكم للفهم واجب. واجهد أن تسأل أهل الذكر. فالتخصيص بأهل الذكر لا بأهل العلم مع تقييد حال عدم العلم يفيد أن الذكر أعلى من العلم، فإذا، العالم قد لايذكر علمه ولا يذكر معلمه ولا رازق علمه والعياذ بالله، وأما الذاكر فبعلم. كما أن فيه أيضا تنبيه على ضرورة تحرى الإنسان فى سؤاله، وألا يسأل إلا من تبرأ به الذمة، ومن هو أتقى وأعلم وأورع، فهؤلاء هم أهل الذكر حقًّا.

فهذه الآية هي القاعدة المحكمة، إذن! وفي ذلك دليل واضح على أن الاجتهاد لا يجب على جميع الناس؛ لأن الأمر بسؤال العلماء دليل على أن هناك أقوامًا فرْضهم السؤال لا الاجتهاد، إذ لا يتصور لأحد، كائنا من كان، أن يكون جميع الناس مجتهدين.

---

٥٩ سورة النحل: ٤٣، و سورة الأنبياء: ٧.

الأدب الثالث عشر: التعرف على قدر المعلوم والمجهول

قال الناظم رحمه الله تعالى:

الْقَوْلُ قَوْلَانِ فَقَوْلٌ تَعْقِلُهْ ﴿٢٨﴾ وَآخَرُ تَسْمَعُهُ فَتَجْهَلُهْ

التقطيع	أَلْ قَوْ لُقَوْ	لَا نِ فَقَوْ	لُنْ تَعْ قِلُهْ	وَءَا خَرُوْ	تَسْ مَ عُهُوْ	فَ تَجْ هَلُهْ
الترميز	o - - o - o -	o - - - o -	o - - o - o -	o - - o - -	o - - - o -	o - - o - -
اللفظ	أَلْقَوْلُقَوْ	لَانِفَقَوْ	لُنْتَعْقِلُهْ	وَءَاخَرُوْ	تَسْمَعُهُوْ	فَتَجْهَلُهْ
التفعيل	مُسْتَفْعِلُنْ	مستxعلن	مستفعلن	مxتفعلن	مستxعلن	مxتفعلن
	مَفَاْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ
الزحاف	[سالم]	[مطوي]	[سالم]	[مخبون]	[مطوي]	[مخبون]

(القول) الذي سمعته تشابه واشترك واجتمع فيه **(قولان)** أي معنيان، ويجوز أن يراد به أن القول نوعان، **(فَـ)** أحدهما **(قول)** تسمعه و **(تعقله)** أي تفهمه **(وآخر)** أي وآخرهما قول **(تسمعه فتجهله)** أي لا تفهمه ولا تدرك مراده.

فوائد:

١. القول إما حقيقي وإما مجازي، والقائل قد لا يذكر أن قوله حقيقي ولا ومجازي، فيعسر على السامع فهمه، فليكن له مستفهما، كما مر.

٢. وإن القول نوعان أحدهما ما لا يخفى عليك فإذا سمعته تفهمه، والآخر ما يخفى عليك فإذا سمعته تجهله. فالأول إذا وصل إلى قلبك استقرّ فيه، ووعيته. ثم إنك إذا فهمت معنى من معاني العلم ووعاه

قلبُك وجدت له مَرْبعا ومَحلّا فيه. وأما الثاني الذي تجهله فإنك تحتاج فيه إلى الاستفهام والسؤال حتى تدرك معناه فيستقر في قلبك. وإذا عسر عليك فهم قول فاستعدْ تفهّمَه إما بتكرار النظر منك في سماع قول معلّمك أو في طلبك منه إعادةَ بيان ما سمعته منه.

٣. فما سمعته وتفهمه فعِهِ وأدِّ به غيرك، وأما ما سمعته وتجهله فاسأله واجتهد في تفهّمه.

٤. وإياك وإهمال فهم ما لم تفهمه، فإن ذلك يورث أربع آفات على الأقل: أحدهن ثِقَل الفهم، حيث إذا تركت شيئا مرة ثم ثانيا ثم ثالثا تبلّد ذهنك. والثاني تفويت العلم، بتركك شيئا مرة ثم ثانيا وثالثا وآخر. والثالث وقوع الشبهات، والرابع كثرة الاعتراضات.

الأدب الرابع عشر: التفريق بين الباطل والصواب قبل الجواب

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَكُلُّ قَوْلٍ فَلَهُ الْجَوَابُ ﴿٢٩﴾ يَجْمَعَهُ الْبَاطِلُ وَالصَّوَابُ

التقطيع	وَ كُلْ لُقَوْ	لِنْ فَ لَهَلْ	جَوَا بُوْ	يَجْ مَعُهُلْ	بَا طِ لُوَصْ	صَوَابُوْ
الترميز	o--o--	o---o-	o-o--	o---o-	o---o-	o-o--
اللفظ	وَكُلُّلْقَوْ	لِنْفَلَهَلْ	جَوَابُوْ	يَجْمَعُهُلْ	بَاطِلُوَصْ	صَوَابُوْ
التفعيل	مxتفعلن	مستxعلن	مُxتَفْعِلْx	مستxعلن	مستxعلن	مxتفعلْx
	مَفَاْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	فَعُوْلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	فَعُوْلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[مطوي]	[مكبل]	[مطوي]	[مطوي]	[مكبل]

(وكل قول) من القولين وهما ما تعقله وما تجهله كما مر **(فله الجواب)** أي له جوابه وتحقيقه، لكن **(يجمعه)** أي يشترك في كل قول اثنان هما **(الباطل)** أي الجواب الخاطئ أو الضال **(و)** الثاني **(الصواب)** أي ضد الخاطئ وهو الصحيح. ولذلك، استفهم واستفسر واسأل واستفد ولا تسكت حتى تفرق بين الباطل والصواب.

فوائد:

١. إن الجواب نوعان صحيح وباطل.

٢. وتحقيق الحكم على الجواب بإحدى النوعين أو كليهما، وهما أولا جواب مُناطٌ بموافقة الأدلة، وثانيا بمتابعة الأجلّة، لا بمجرّد الذوق أو الوَجْد أو الخاطر، أو ما تعارف عليه الناس في بلدهم، حتى وإن كان أكثر الناس يوافقونه، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.[٦٠]

٣. والتفريق بين الصواب والباطل بطريقتين هما بالتفهّم وبالسؤال أهل الذكر. ولا تقل ولا تجبْ إلا بعد أن تم أحدهما أو كلاهما. فاستعمل جميع آلات علمك ولا تكتف بالسمع فقط، بل عارض السمع على الأبصار والأفئدة ثم ادع الله له دعاء الاستخارة ثم خذ حظك من الموقف والقرار، وفقك الله لما يحبه ويرضاه.

الأدب الخامس عشر: التحقق من الكلام أوله وآخره قبل الجواب عنه

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَلِلْكَلَامِ	أَوَّلٌ	وَآخِرٌ ﴿٣٠﴾	فَافْهَمْهُمَا وَالذِّهْنُ مِنْكَ حَاضِرٌ

٦٠ سورة الأنعام: ١١٦.

التقطيع	وَلِلْ كَلَا	مِ أَوْ وَلُنْ	وَ ءَا خِرُنْ	فَفْ هَمْ هُمَا	وَذْ ذِهْ نُمِنْ	لِ حَاضِرُنْ
الترميز	o--o--	o--o--	o--o--	o--o-o-	o--o-o-	o--o--
اللفظ	وَلِلْكَلَا	مِأَوْوَلُنْ	وَءَاخِرُنْ	فَفْهَمْهُمَا	وَذْذِهْنُمِنْ	كَحَاضِرُنْ
التفعيل	مفعولاتُ	مفعولاتُ	مفعولاتُ	مستفعلن	مستفعلن	مفعولاتُ
	مَفَاْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[مخبون]	[مخبون]	[سالم]	[سالم]	[مخبون]

(وللكلام) الذي سمعته **(أول)** أي أول الكلام، فكل كلام يقدمه ما يقدمه، إما أن يقدمه كلام آخر من صاحبه أو من غيره وإما أن يقدمه واقعة وقعت على المتكلم أو شاهدها أو سمعها من الآخر، فلكل كلام مقدمة ومبتدأ، ولكل سببه ومناسباته وملابساته وظروفه، **(وآخر)** وكذا للكلام آخِره ومنتهاه وخاتمه، أي مقصِده، فإلى أي شيء قصد الكلام، وما أراده، فهل وافق ذلك ما قصدت به منه؟ وإما أن يكون ما سمعته أولَه وإما آخرَه فأنت جاهل بذلك. **(فافهمهما)** أي فافهم أول الكلام وآخره أيها الطالب النبيل الكيّس ولا تتسرع إلى الجواب عنه يسلمْ لك دينك وعلمك وعقلك بهما. فاعلم أيها الطالب أنه لا يمكن حصول تلك الحال إلا **(والذهن)** أي والعقل والفهم الرشيد الحكيم **(منك حاضر)** حاصل وصادر منك. لكن إذا لم تفهم أول الكلام ولا آخره فلا تدرك شيئا منه. وحضور الذهن هو إقبال القلب على المعنى المراد فهمه. فإنك إذا زاغ ذهنك مدة وحضر مدة أخرى أوقعك في الغلط.

فكلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد ﷺ أيضا له أول وآخر. فأوله أسبابه وآخره مقاصده. فلا نفهم هذا الكلام الإلهي إلا بهما، وإلا فكان الفهم لفظيا قد لا يقصد به صاحبه. وكذا الأحاديث النبوية الشريفة لكل منها أول وآخر. فالفهم الصحيح يحتاج إلى إدراك أول الكلام النبوي الذي هو أسباب وروده وظروفه وملابساته ومناسباته وإدراك آخره الذي

هو مقاصد ينتهي إليها. بل، ولكل قول وكلام أول وآخر.

تنبيهان:

١. نحن الآن في زمن سهل لكل واحد أن يتكلم، والحرية في الكلام أصبحت رخيصة. فكل لسان يتكلم بما شاء أن يتكلم، بل الأنامل والأصابع والأيدي تتكلم أكثر، فشبيه بقوله تعالى اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم. بل، ومن المألوف الآن أن يتكلم الأطفال الصغار أمام الناس ويجيب أشياء هم ليسوا بأهلها ولا يحيطون بها علما. نعم، لسانهم صامت لكن أناملهم متكلمة بأحرف هي أبقى من ألفاظها وأصواتها.

٢. فرب كلام في هذا الزمان فاقد الأول وعديم الآخر، ولا يبالي الناس بهما، ويكاد العلماء فيه لا يعتبر بكلامهم. ورب كلام مقطوع الأول والآخر، بل قد يؤخذ أوله فقط دون أوسطه ولا آخره، أو العكس. فالأخبار المتداولة في الانترنت لا تفيد إلا الكذب والفتن، والعلم فيه مقطّع لا مقدمة ولا ختام له.

الأدب السادس عشر: آداب الإفتاء والاستفتاء والإرشاد والاسترشاد

قال الناظم رحمه الله تعالى:

لَا تَدْفَعِ الْقَوْلَ وَلَا تَرُدَّهُ ﴿٣١﴾ حَتَّى يُؤَدِّيْكَ إِلَى مَا بَعْدَهُ

التقطيع	لَا تَدْ فَعِلْ	قَوْ لَ وَلَا	تَ رُدْ دَهُوْ	حَتْ تَ يُؤَدْ	دِيْ كَ إِلَىْ	مَابَعْ دَهُوْ
الترميز	٥--٥-٥-	٥---٥-	٥--٥--	٥--٥-٥-	٥---٥-	٥--٥-٥-
اللفظ	لَاتَدْفَعِلْ	قَوْلَوْلَا	تَرُدْدَهُوْ	حَتْتَايُؤَدْ	دِيْكَإِلَىْ	مَابَعْدَهُوْ
التفعيل	مستفعلن	مستxعلن	مxتفعلن	مستفعلن	مستxعلن	مستفعلن
	مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُفْتَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ
الزحاف	[سالم]	[مطوي]	[مخبون]	[سالم]	[مطوي]	[سالم]

(لا تدفع) أيها الطالب النبيل الكيّس **(القول)** الذي سمعته **(ولا ترده)** ردا **(حتى يؤديك)** أي حتى يقودك هذا القول، تقرأ الياء الثانية ساكنة لضرورة الشعر ومطابقة الوزن وهو مفتعلن [مطوي] مفتعلن [مطوي] مستفعلن [سالم]، وأصله منصوب بـ«أن» المضمرة وجوبا، **(إلى ما بعده)** أي بعد القول، وهو آخِره ومقصِده وما يترتب منه.

فوائد:

١. ينبغي للطالب الأديب أن يتعلم آداب الإفتاء والإرشاد، فمنها أن لا يبادر بجواب الاستفتاء والاسترشاد حتى يتم المستفتي والمسترشد كلامه. وكذا آداب الاستفتاء والاسترشاد، حيث لا يدفع ولا يرد الفتوى والرشد إلا بعد أن أتم المفتي أو المرشد من قوله.

٢. إن آفة العلم أن لا يصبر أهله من الاستماع فاستغلق عليه فهم شيء من كلام الآتي إليه للاسترشاد أو الاستفتاء.

٣. فمن آفاته أن يدفع القول أو يرده قبل أن وصل المسترشد أو المستفتى إلى مقاصد كلامه. كما لا يجوز لهما أن يدفعا ويردا كلام المفتى والمرشد كذلك. وهذا يحتاج إلى الصبر الجميل.

٤. وأفضل ما ندرس في ذلك قصة سيدَينا موسى والخضر عليهما السلام. وحيث سأل سيدنا موسى عليه السلام ردا على قول سيدنا

الخضر في ثلاثة أمور بعد أن قال له: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[٦١] مع علمه أنه يعسر لسيدنا موسى عليه السلام الصبرُ في ذلك، فقال: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾.[٦٢]

فقول الناظم «حتى يؤديك إلى ما بعده» هذا قريب من قول سيدنا الخضر عليه السلام: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.[٦٣] فكثير من العلماء إذا أتى أحدهم بأمر لم يفهمه الآخر فإذا لم يصبر أحدهم على ما لم يحط به خبرا دفع أو رد ذلك الأمر لصاحبه قبل أن وصل إلى تمامه.

فإذا جاء الطالب إلى شيخه للاسترشاد فلا ينبغي له أن يدفع ولا يرد بقولٍ ما كان على شيخه من الأمور التي لا يفهمها. فخيرُ ما يقرأ في ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾.[٦٤]

٥. واعلم أن مفتاح العلم الصبر، حيث قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.[٦٥] ففيه أن العلم لا ينال إلا بالصبر على الأستاذ وعلى إرشاده.

٦. واعلم أيضا أن أشد الصبر الصبرُ على ما لم نفهم. فقال تعالى: ﴿كَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾.[٦٦]

---

٦١ سورة الكهف: ٧٠.
٦٢ سورة الكهف ٦٧-٦٨.
٦٣ سورة الكهف: ٧٨.
٦٤ سورة الكهف: ٦٦.
٦٥ سورة الكهف: ٦٧.
٦٦ سورة الكهف: ٦٨.

الأدب السابع عشر: التعرف على أن العليم قد أعياه أمر

قال الناظم رحمه الله تعالى:

فَرُبَّمَا أَعْيَى ذَوِي الْفَضَائِلِ ﴿٣٢﴾ جَوَابُ مَا يُلْقَى مِنَ الْمَسَائِلِ

التقطيع	فَ رُبْ بَمَا	أَغْ يَا ذَوِلْ	فَضَا ئِلِيْ	جَوَابُمَا	يُلْ قَا مِنَلْ	مَسَائِلِيْ
الترميز	o - - o - -	o - - o - o -	o - - o - -	o - - o - -	o - - o - o -	o - - o - -
اللفظ	فَرُبَبَمَا	أَغْيَاذَوِلْ	فَضَائِلِيْ	جَوَابُمَا	يُلْقَامِنَلْ	مَسَائِلِيْ
التفعيل	مفعولاتن	مستفعلن	مفعولاتن	مفعولاتن	مستفعلن	مفعولاتن
	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[سالم]	[مخبون]	[مخبون]	[سالم]	[مخبون]

فَيُمْسِكُوا بِالصَّمْتِ عَنْ جَوَابِهِ ﴿٣٣﴾ عِنْدَ اعْتِرَاضِ الشَّكِّ فِي صَوَابِهِ

التقطيع	فَ يُمْ سِكُوْ	بِصْ صَمْ تِعَنْ	جَوَا بِهِيْ	عِنْ دَعْ تِرَا	صِشْ شَكْ كِفِيْ	جَوَابِهِيْ
الترميز	o - - o - -	o - - o - o -	o - - o - -	o - - o - o -	o - - o - o -	o - - o - -
اللفظ	فَيُمْسِكُوْ	بِصْمَتِعَنْ	جَوَابِهِيْ	عِنْدَعْتِرَا	صِشْشَكْكِفِيْ	جَوَابِهِيْ
التفعيل	مفعولاتن	مستفعلن	مفعولاتن	مستفعلن	مستفعلن	مفعولاتن
	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفَاْعِلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[سالم]	[مخبون]	[سالم]	[سالم]	[مخبون]

(فربما) يجوز أن يراد به إفادة التكثير، اتصلت بها «ما» الزائدة الكافة عن العمل فدخل هذا الجارّ على ما بعدها من الفعل، أي فكثيرا ما أعيى. وهي هنا تعني الاحتمال، فيكون المعنى في السياق: الترجي، أو

الشك أو التوقع، بدليل أن البيت الذي جاء بعده فعل مضارع منصوب بفاء السببية الواقعة في جواب الترجي، أي لَعَلّهُ **(أعيى)** من عيِيَ – يعيا بزيادة الهمز في أوله للتعدية، وهو بمعنى أعجز عن الإحكام وأجهلَ **(ذوي الفضائل)** مفعول به، أي ولم يمكّنهم من معرفة القصد. فانتبه أنه قد أُلقِي على ذوي الفضائل أمر لا يفهمونه أو عجزوا من الكلام فلم يتمكنوا من إظهار مرادهم بالمسألة أو لم يتصور ليديهم **(جوابُ ما)** مرفوع فاعل وهو مضاف إلى الموصولية **(يلقى)** مبني للمجهول **(من المسائل)** بيان لما يلقى.

(ف) سببية، ناصبة، **(يمسكوا)** منصوب بحذف نون الجمع على السببية، تكون جوابا للترجي المستفاد من البيت السابق، فبما أن ذوي الفضائل قد يُعْيِيهم الأمر فيمسكوا ويمتنعوا **(بالصمت)** أي مستعينا به **(عن جوابه)**. وذلك **(عند اعتراض الشك في صوابه)** إذ العقل مقصور لا يحيط بجميع الأمر وإن كان من أهل الفضائل. وقد صمت أعلم الناس وأفضلهم النبي ﷺ عن جواب ما لم يحط به علما، فلا يقول عندما سئل عن الساعة إلا «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» ثم صمت. والله تعالى أعلم.

فائدة:

فمن قصة سيدنا موسى مع سيدنا الخضر عليهما السلام تلقّينا دروسا تنفعنا أن العليم قد أعياه الأمر. فهذا سيدنا موسى عليه السلام، نبي من أنبيائه، ورسول من رسله، وهو كليم الله، قد أعياه الأمر. حيث إنه لم يفهم ما علّمه سيدنا الخضر عليه السلام من الرشد والذكر، فاستنكر عليه مستفهما، فقال مرة ردا عليه:

﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾،[٦٧] وقال ثانيا ردا عليه ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾،[٦٨] وقال ثالثا دافعا له بقوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.[٦٩] هذا، فقد ألقى سيدُنا الخضر لسيدِنا موسى عليهما السلام أمرا عجز سيدُنا موسى عن فهمه، ويعسر له ذلك، فقال: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾.[٧٠] وكذا فقد أعيا سيدَنا الخضرَ عليه السلام بيانُ تلك الأمور بجوابه. فعجز عن الكلام وعن إظهار مراده مع تمام فهمه في ذلك، فلم يتمكّن من بيان ما كان ظاهره إمرا ونكرا وغربا كما وجده سيدُنا موسى عليه السلام. فلم يقل هو إلا أن ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾،[٧١] وإنما قال بعد ذلك ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.[٧٢] أي أن سيدَنا الخضر عليه السلام أيضا في الواقع قد وجد عسرا في بيان الظاهر من أموره، إلا أن قال: يا موسى هذا ما أمرني الله بفعله، وإنما أنا قائم بأمره، وما فعلته عن أمري. ا.هـ والله تعالى أعلم.

٦٧ سورة الكهف: ٧١.
٦٨ سورة الكهف: ٧٤.
٦٩ سورة الكهف: ٧٧.
٧٠ سورة الكهف: ٧٣.
٧١ سورة الكهف: ٧٢ و ٧٥.
٧٢ سورة الكهف: ٧٢.

الختام
الكلام فضة والصمت ذهب

قال الناظم رحمه الله تعالى:

وَلَـوْ يَكُونُ الْقَـوْلُ فِي الْقِيَاسِ ﴿٣٤﴾ مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءَ عِنْدَ النَّاسِ

التقطيع	وَ لَوْ يَكُوْ	نُلْ قَوْ لُفِلْ	قِيَا سِي	مِنْ فِضْ ضَتِنْ	بَي ضَا ءَعِنْ	دَنْ نَاسِي
الترميز	٥ - - ٥ - -	٥ - - ٥ - ٥ -	٥ - ٥ - -	٥ - - ٥ - ٥ -	٥ - - ٥ - ٥ -	٥ - ٥ - ٥ -
اللفظ	وَلَوْيَكُوْ	نُلْقَوْلُفِلْ	قِيَاسِي	مِنْفِضْضَتِنْ	بَيْضَاءَعِنْ	دَنْنَاسِي
التفعيل	مفعولنx	مستفعلن	مفعولنx	مستفعلن	مستفعلن	مُسْتَفْعِلْx
	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعُوْلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مَفْعُوْلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[سالم]	[مكبل]	[سالم]	[سالم]	[مقطوع]

إِذَنْ لَكَانَ الصَّمْتُ مِنْ خَيْرِالذَّهَبْ ﴿٣٥﴾ فَافْهَمْ هَدَاكَ اللهُ آدَابَ الطَّلَبْ

التقطيع	إِ ذَنْ لَكَا	نَصْ صَمْ تُمِنْ	خَيْ رِذْ ذَهَبْ	فَفْ هَمْ هَدَا	كَلْ لَا هُوَا	دَاْبَطْ طَلَبْ
الترميز	٥ - - ٥ - -	٥ - - ٥ - ٥ -	٥ - - ٥ - ٥ -	٥ - - ٥ - ٥ -	٥ - - ٥ - ٥ -	٥ - - ٥ - ٥ -
اللفظ	إِذَنْلَكَا	نَصْصَمْتُمِنْ	خَيْرِذْذَهَبْ	فَفْهَمْهَدَا	كَلْلَاهُوَا	دَابَطْطَلَبْ
التفعيل	مفعولنx	مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن
	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[سالم]	[مكبل]	[سالم]	[سالم]	[سالم]

ويجوز أن يقرأ كما في بعض النسخ:

إِذَنْ لَكَانَ الصَّمْتُ مِنْ عَيْنِ الذَّهَبْ ﴿٣٥﴾ فَافْهَمْ هَدَاكَ اللهُ آدَابَ الطَّلَبْ

التقطيع	إ ذَنْ لَكَا	نَصْ صَمْ تُمِنْ	عَيْ نِذْ ذَهَبْ	فَفْ هَمْ هَدَا	كَلْ لَا هُوَا	دَابَطْ طَلَبْ
الترميز	o - - o - -	o - - o - o -	o - - o - o -	o - - o - o -	o - - o - o -	o - - o - o -
اللفظ	إِذَنْلَكَا	نَصْصَمْتُمِنْ	عَيْنِذْذَهَبْ	فَفْهَمْهَدَا	كَلْلَاهُوَا	دَابَطْطَلَبْ
التفعيل	مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن
	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[سالم]	[سالم]	[سالم]	[سالم]	[سالم]

وفي رواية أخرى:

إِذَا لَكَانَ الصَّمْتُ عَيْنًا مِنْ ذَهَبْ ﴿٣٥﴾ فَافْهَمْ هَدَاكَ اللهُ آدَابَ الطَّلَبْ

التقطيع	إ ذَنْ لَكَا	نَصْ صَمْ تُعَيْ	نَنْ مِنْ ذَهَبْ	فَفْ هَمْ هَدَا	كَلْ لَا هُوَا	دَابَطْ طَلَبْ
الترميز	o - - o - -	o - - o - o -	o - - o - o -	o - - o - o -	o - - o - o -	o - - o - o -
اللفظ	إِذَنْلَكَا	نَصْصَمْتُعَيْ	نَنْمِنْذَهَبْ	فَفْهَمْهَدَا	كَلْلَاهُوَا	دَابَطْطَلَبْ
التفعيل	مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن
	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[سالم]	[سالم]	[سالم]	[سالم]	[سالم]

وفي رواية أخرى:

إِذَا لَكَانَ الصَّمْتُ مِنْ خَيْرِ الذَّهَبْ ﴿٣٥﴾ فَاسْمَعْ هَدَاكَ اللهُ تَلْخِيْصَ الْأَدَبْ

التقطيع	إِ ذَنْ لَكَا	نَصْ صَمْ تُمِنْ	خَيْ رِذْ ذَهَبْ	فَسْ مَعْ هَدَا	كَلْ لَا هُتَلْ	خِيْ صَلْ أَدَبْ
الترميز	o - - o - -	o - - o - o -	o - - o - o -	o - - o - o -	o - - o - o -	o - - o - o -
اللفظ	إِذَنْلَكَا	نَصْصَمْتُمِنْ	خَيْرِذْذَهَبْ	فَسْمَعْهَدَا	كَلْلَاهُتَلْ	خِيْصَلْأَدَبْ
التفعيل	مفعولاتfعلن	مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن	مستفعلن
	مَفَاْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ
الزحاف	[مخبون]	[سالم]	[سالم]	[سالم]	[سالم]	[سالم]

(و) نودّ **(لو)** حرف مصدري واستقبال بمعنى «أن» وأكثر وقوعها بعد الفعل مثل «وَدَّ - يودّ» وما في معناها «تمنى، رجا، طلب، سأل»، أو هي حرف شرط غير الجازم، وهو هنا في العمل والمعنى يماثل «إذا» **(يكون القول)** أي الكلام والجواب **(في القياس)** أي في قدره ووزنه وقيمته **(من فضة بيضاء)** في محل نصب، خبر «كان»، وهو متعلق بها أو بمحذوف تقديره «عيناً من فضة» أو «خيرا منها»، وذلك يعرف من البيت الذي يليه عند بعض النسخ **(عند الناس)** أي أنهم عادة اعتبروا القول والكلام نوعا وعينا من الفضة البيضاء أو خيرا منها. وهو حسن جميل.

(إذن) حرف جواب لا عمل له **(لكان)** جواب «لو» الواردة في البيت السابق، **(الصمت)** ضد القول المقيس على الفضة البيضاء **(من خير الذهب)** أي نوع من أفضل الذهب وأجمله وأنفسه وأخلصه وأغلاه. وفي بعض النسخ «مِنْ عَيْنِ الذَّهَبِ» أي أن الصمت ينبوعٌ من ينابيع الذهب. **(فافهم)** أيها الطالب الأديب النجيب **(هداك الله)** بهذا الفهم **(آداب الطلب)** أي طلبِ العلم المبارك وطلبِ رضى أهله ومعلمه ورضى رازقه وواهبه.

فوائد:

١. الكلام أربعة أنواع: أحدها كلام بيّن المنفعة وهو الفضة البيضاء، وثانيها كلام بيّن المضرة وهو عين اللهب بل شواظه، وثالثها ما بينهما وهو ما لم يتبين نفعه من ضرره فحسن تركه، والصمت عن الثاني والثالث عين الذهب بل خياره.

٢. إن العلم لا يحصل بالأدب، فبالأدب يفهم العلم.

٣. العلم والأدب هبة وهداية من الله تعالى لمن استوهبه واستهداه. وهما إما هبة إلهية وإما هبة بشرية، فإن الله يهب العلم لمن كان متأدبا لأن العلم ميراث النبوة وأنواره، وإن الله لا يجعل أنوار النبوة في قلبِ رجل قليل الأدب، وهو أيضا نور الله، ولا يهدى لمن لا يتأدب.

وأما كونه هبة بشرية فإن المعلّمين والمدرّسين يتعاهدون المتأدّبين وهم يبذلون علومهم للمودَّبين من طلابهم وتلامذتهم. وإن أهل العلم علموا أن العلم خزانة، وأنهم أمناء عليها، فلا يؤدون الأمانة إلا لمن لا أمانة له. والأمانة عين الأدب.

والله تعالى أعلم وهو أعلم المعلمين وأفضل المؤدبين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وورثته من العلماء والطلبة الأدباء أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

***

قال الناظم ختاما (فافهم هداك الله آداب الطلب) كأنه أراد به أن الهداية تحتاج إلى العلم الذي هو عين الفهم، لكن الفهم القائد إلى الهدى والهادي إلى سَنَن الهدى هو الفهم بالآداب، فبدونه لا يهتدي الطالب العالم، ولا يطيب علمه.

ثم قال الفقير ختاما: وقد انتهينا بعون الله تعالى وتوفيقه من شرح هذه المنظومة التى علمناها شيخنا ومربي روحنا الأستاذ الدكتور الكياهي الحاج علي مصطفى يعقوب عن شيخه العلامة المحدث العارف بالله الشيخ محمد إدريس كمالي الشربوني ثم الجمباني ثم المكي مناولة مع الإجازة له بتعليمه وقراءته عند كل درس خاليا عن اسم صاحبها، وسميته ((عين الذهب في حل ألفاظ منظومة آداب الطلب)) بجاكرتا حرسها الله وبارك فيها، وذلك في الساعة الواحدة ليلة الخميس، التاسع عشر خلون من شهر رجب من عام ألف وأربعمائة واثنتين وأربعين للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

فاللهَ سبحانه وتعالى نسأل أن ينفع بهذا الكتاب الإسلام والمسلمين وأن يجمعنا والناظم والمجيز والمعلم والقارئ ومن دل به على خير تحت لواء من نحن لسنته خادمون وعلى هديه سائرون سيدنا محمد ﷺ، إنه تعالى ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

منظومة أداب الطلب

منسوبة إلى المأمون وقيل إلى اللؤلؤي

فَاعْلَمْ بِأَنَّ ٱلعِلْمَ بِالتَّعَلُّمِ وَالْحِفْظِ وَٱلإِتْقَانِ وَالتَّفَهُّمِ
وَٱلعِلْمُ قَدْ يُرْزَقُهُ الصَّغِيْرُ فِيْ سِنِّهِ وَيُحْرَمُ ٱلكَبِيْرُ
فَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ لَيْسَ بِرِجْلَيْهِ وَلاَ يَدَيْهِ
لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ الْمُرَكَّبُ فِيْ صَدْرِهِ وَذَاكَ خَلْقٌ عَجَبُ
وَٱلعِلْمُ بِالْفَهْمِ وَبِالْمُذَاكَرَةْ ﴿٥﴾ وَالدَّرْسِ وَالْفِكْرَةِ وَالْمُنَاظَرَةْ
فَرُبَّ إِنْسَانٍ يَنَالُ الْحِفْظَا وَيُوْرِدُ النَّصَّ وَيَحْكِي اللَّفْظَا
وَمَا لَهُ فِيْ غَيْرِهِ نَصِيْبُ مِمَّا حَوَاهُ الْعَالِمُ ٱلأَدِيْبُ
وَرُبَّ ذِيْ حِرْصٍ شَدِيْدِ الْحُبِّ لِلْعِلْمِ وَالذِّكْرِ بَلِيْدُ الْقَلْبِ
مُعَجَّزٌ فِي الْحِفْظِ وَالرِّوَايَةْ لَيْسَتْ لَهُ عَمَّا رُوِيْ حِكَايَةْ
وَآخَرُ يُعْطَى بِلاَ اجْتِهَادِ ﴿١٠﴾ حِفْظًا لِمَا قَدْ جَاءَ فِيْ ٱلإِسْنَادِ
يَهُزُّهُ بِٱلْقَلْبِ لاَ بِنَاظِرِهْ لَيْسَ بِمُضْطَرٍّ إِلَى قَمَاطِرِهْ
فَٱلْتَمِسِ ٱلعِلْمَ وَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبْ وَٱلعِلْمُ لاَ يَحْسُنُ إِلاَّ بِٱلأَدَبْ
وَٱلأَدَبُ النَّافِعُ حُسْنُ السَمْتِ وَفِيْ كَثِيْرِ ٱلْقَوْلِ بَعْضُ الْمَقْتِ
فَكُنْ لِحُسْنِ السَّمْتِ مَا حَيِيْتَا مُقَارِفًا تُحْمَدُ مَا بَقِيْتَا
وَإِنْ بَدَتْ بَيْنَ أُنَاسٍ مَسْأَلَةْ ﴿١٥﴾ مَعْرُوْفَةٌ فِي ٱلعِلْمِ أَوْ مُفْتَعَلَةْ
فَلاَ تَكُنْ إِلَى الْجَوَابِ سَابِقَا حَتَّى تَرَى غَيْرَكَ فِيْهَا نَاطِقَا

فَكَمْ رَأَيْتَ مِنْ عَجُوْلٍ سَابِقِ ... مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ بِالْخَطَإِ نَاطِقِ
أَزْرَى بِهِ ذَالِكَ فِي الْمَجَالِسِ ... عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ وَالتَّنَافُسِ
وَالصَّمْتُ فَاعْلَمْ بِكَ حَقٌّ أَزْيَنُ ... إِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ عِلْمٌ مُتْقَنُ
وَقُلْ إِذَا أَعْيَاكَ ذَاكَ الْأَمْرُ ﴿٢٠﴾ مَا لِيْ بِمَا تَسْأَلُ عَنْهُ خُبْرُ
فَذَاكَ شَطْرُ الْعِلْمِ عِنْدَ الْعُلَمَا ... كَذَاكَ مَا زَالَتْ تَقُوْلُ الْحُكَمَا
إِيَّاكَ وَالْعُجْبَ بِفَضْلِ رَأْيِكَا ... وَاحْذَرْ جَوَابَ الْقَوْلِ مِنْ خَطَائِكَا
كَمْ مِنْ جَوَابٍ أَعْقَبَ النَّدَامَةْ ... فَاغْتَنِمِ الصَّمْتَ مَعَ السَّلاَمَةْ
اَلْعِلْمُ بَحْرٌ مُنْتَهَاهُ يَبْعُدُ ... لَيْسَ لَهُ حَدٌّ إِلَيْهِ يُقْصَدُ
وَلَيْسَ كُلَّ الْعِلْمِ قَدْ حَوَيْتَهُ ﴿٢٥﴾ أَجَلْ وَلاَ الْعُشْرَ وَلَوْ أَحْصَيْتَهُ
وَمَا بَقِيْ عَلَيْكَ مِنْهُ أَكْثَرُ ... مِمَّا عَلِمْتَ وَالْجَوَادُ يَعْثُرُ
فَكُنْ لِمَا سَمِعْتَهُ مُسْتَفْهِمَا ... إِنْ أَنْتَ لاَتَفْهَمُ مِنْهُ الْكَلِمَا
اَلْقَوْلُ قَوْلاَنِ فَقَوْلٌ تَعْقِلُهْ ... وَآخَرُ تَسْمَعُهُ فَتَجْهَلُهْ
وَكُلُّ قَوْلٍ فَلَهُ جَوَابُ ... يَجْمَعُهُ الْبَاطِلُ وَالصَّوَابُ
وَلِلْكَلاَمِ أَوَّلٌ وَآخِرُ ﴿٣٠﴾ فَافْهَمْهُمَا وَالذِّهْنُ مِنْكَ حَاضِرُ
لاَ تَدْفَعِ الْقَوْلَ وَلاَتَرُدَّهُ ... حَتَّى يُؤَدِّيْكَ إِلَى مَا بَعْدَهُ
فَرُبَّمَا أَعْيَى ذَوِي الْفَضَائِلِ ... جَوَابُ مَا يُلْقَى مِنَ الْمَسَائِلِ
فَيُمْسِكُوْا بِالصَّمْتِ عَنْ جَوَابِهِ ... عِنْدَ اعْتِرَاضِ الشَّكِّ فِيْ صَوَابِهِ
وَلَوْ يَكُوْنُ الْقَوْلُ فِي الْقِيَاسِ ... مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءَ عِنْدَ النَّاسِ
إِذَا لَكَانَ الصَّمْتُ مِنْ عَيْنِ الذَّهَبْ ﴿٣٥﴾ فَافْهَمْ هَدَاكَ اللهُ آدَابَ الطَّلَبْ

*****